15 em Année No. 747

Lundi — 27 — 10 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٧٤٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ ذى الحجة سنة ١٣٦٦ — ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

القرآن والنظريات العلمية

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

« ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، إن الأستاذ مصطفى صادق الرافعى رحمه الله ، يقول فى الطبعة الثانية من كتابه إعجاز القرآن فى هامش صفحة ١٣٢ تعليقاً على الآية القرآنية : ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ...

« فجاءت العبارة فى الآية الكريمة كأنها سلالة من علم تتسع لمذهب القائلين بالنشوء ، ولمذهب القائلين بالخلق ، ولمذهب القائلين بانتقال الحياة إلى هذه الأرض فى سلالة من عالم آخر ... » .

فإن كانت نظرية دارون صحيحة فإنى أريد أن أعرف رأيكم فى الكيفية التى يقبل بها القرآن الكريم أن يكون الإنسان من سلالة القردة ، وأرجو أن أقرأ ردكم على صفحات الرسالة الغراء ، ولكم جزيل شكرى والسلام » .

« مخلص »

***

والذى نلاحظه « أولا » أن رواية مذهب دارون على هذا الوجه غير صحيحة . فإن دارون لا يقول بتسلسل الإنسان من القرد ، ولا يلزم من مذهبه أن يكون كل إنسان منحدراً من القردة فى أصله القديم .

وكل ما يلزم من مذهبه أن الإنسان والقردة العليا تلتقى فى جذر واحد ، وأن بين الإنسان والقردة العليا حلقة مفقودة لم توجد إلى الآن .

أما الآية القرآنية فهى لا تثبت المذهب ولا تنفيه ، ومن الخطأ البين فى اعتقادنا أن نجعل تفسير القرآن تابعاً للنظريات العلمية التى تنقض اليوم ما تثبته بالأمس ، والتى يجرى عليها الجدل بين المدارس العلمية — أو الفلسفية — على أسس شتى لم يتفق عليها العلماء .

ومن أمثلة ذلك ما ذهب إليه بعض المجتهدين المحدثين فى التوفيق بين القرآن الكريم ومبادىء مذهب النشوء والارتقاء .

فالنشوئيون يقولون بتنازع البقاء ، وهو مطابق للآية القرآنيـة : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .

ويقولون ببقاء الأصلح ، وهو مطابق للآية القرآنية : « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

ومن المشاهدات التى سجلها النشوئيون ماهو صحيح لا ريب فيه ، ولكن المذهب يشتمل على نتائج وتخريجات كما يشتمل على مبادىء ومشاهدات ، وكل ما جاء فيه من قبيل النتائج والتخريجات فهو فى حكم الفروض التى تحتمل النقض والإثبات ، ولا يصح أن نفسر القرآن الكريم وفقاً لها وهى لا تزال فى طور التدليل والترجيح .

والنظرية السديمية مثل آخر من هذه الأمثلة فى محاولات التوفيق بين القرآن الكريم والفروض العلمية .

فمن علماء الطبيعة — والفلك خاصة — من يرى أن المنظومات الفلكية نشأت كلها من السديم الملتهب . وأن هذا السديم تختلف فيه الحرارة فيتشقق ، أو ينفصل بعضه عن بعض من أثر التمدد فيه ، فتدور الأجرام الصغيرة منه حول الأجرام الكبيرة ، وتنشأ المنظومات الشمسية وما شابهها من هذا التشقق وهذا الدوران .

فإذا ببعض المجتهدين المعاصرين يعتبر هذا القول فصل الخطاب فى نشأة الأجرام السماوية ، ويقول إنه هو المقصود بالآية القرآنية : « أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون » .

ولكن النظرية السديمية لم تنته بعد بين علماء الطبيعة إلى قرار متفق عليه .

فهل كان الفضاء كله خلواً من الحرارة ، وكانت الحرارة الكونية كلها مركزة فى السدم وما إليها ؟

ومن أين جاءت الحرارة للسدم دون غيرها من موجودات هذا الفضاء ؟ ألا يجوز أن يظهر فى المستقبل مذهب يرجع بالحرارة إلى الفضاء فى حالة من حالاته ؟ أليس خلو الفضاء من الحرارة — إذا صح هذا الخلو — عجباً يحتاج إلى تفسير ؟ أليس انحصار الحرارة فى السدم دون غيرها أحوج من ذلك إلى التفسير ؟

فالقول المأمون فى تفسير الآية القرآنية أن السماوات والأرضين كانت رتقاً فانفتقت فى زمن من الأزمان . أما أن يكون المرجع فى ذلك إلى النظرية السديمية فهو المجازفة بالرأى فى غير علم وفى غير حيطة ، وبغير دليل .

وأظهر من هذا وذاك جدالهم القديم حول دوران الأرض وثبوتها ، أو حول استدارة الأرض وتسطيحها .

فقد تعسف بعضهم فى تفسير آى القرآن الكريم لجزم بكفر القائلين باستدارتها ودورانها ، وجعل القول بثبوتها وتسطيحها حكماً قاطعاً من أحكام الدين .

فما قول هؤلاء الآن وقد أصبحت استدارة الأرض مشاهدة من مشاهدات العيان ؟ وما قولهم وقد أصبح دورانها مسألة من مسائل الحساب الذى يحصى كل حركة لها كما تحصى حركات كل قطار ؟

وهكذا يخطئون فى النفى كما يخطئون فى الإثبات كلما علقوا آيات القرآن بهذه النظريات العلمية ، أو الفروض الفلسفية ، التى تختلف الأقوال فيها باختلاف الأزمنة أو اختلاف الأفكار .

وقد تكون محاولات التوفيق مأمونة مقبولة كقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله فى تفسير الطير الأبابيل بجراثيم الأمراض التى تسمى بالميكروبات .

فالميكروبات موجودة لا شك فيها والإصابة بها محققة كذلك فى مشاهدات مجربة لا تقبل الجدال . فإذا قال المفسر كما قال الأستاذ الإمام أن هزيمة أصحاب الفيل ربما كانت من فعل هذه الجراثيم فذلك قول مأمون على الجواز والترجيح ، ولكنه غير مأمون على الجزم والتوكيد ، لأن الحفريات التاريخية قد تكشف لنا غداً عن حجارة من سجيل أصيب بها أصحاب الفيل فجعلتهم كعصف مأكول .

ومهما يكن من فروض العلماء فى مختلف الأزمنة فإن القرآن الكريم لا يطلب منه أن يتابع هذه الفروض كلما ظهر منها فرض جديد ، وكل مايطلب منه أن يفتح باب البحث لمن يؤمنون به فلا يصدهم عن طلب الحقيقة حيثما سنحت لها بادرة مرجوة ، وقد توافر ذلك فى آيات القرآن الكريم كما لم يتوافر قط فى كتاب دينى تؤمن به الأمم ، فليس أكثر من الحث فيه على التفكير والاعتبار وطلب الحقائق من آيات خلق الله فى الأرض والسماء : « إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » .

وحسب المسلم أن يعمل بما علمه كتابه فى هذه الآية وما جرى مجراها ليعطى العلم حقه ويطلب الحقيقة من حيث يطلبها الفكر الإنسانى فى عجائب خلق الله بين الأرض والسماء .

أما مدلول الآية كما أشار إليه الرافعى فهو يتسع — كما قال — لجميع المذاهب فى خلق الإنسان . وسواء قطعنا الصلة بين الإنسان وسائر الأحياء العليا والدنيا أو ربطناها فذلك لا ينفى أنه فى أصله

لكي يحلوا هذه المشكلة المستعصية على ساسة بريطانيا العظمى أيضاً !! ...

فماذا تريد بريطانيا بهذا الانسحاب المفاجىء بعد أن كانت هي سر النكبة التي نزلت بساحة العرب مسلمهم ونصرانيهم في فلسطين وفي سائر بلاد العربية ؟

لا جرم أنها تريد أن يقع القتال بين العرب واليهود ، وتخرج هي سالمة من هذا الصراع ، وهي في خلال ذلك سوف تمطي اليهود من المونة والسلاح ، ويجهد أسطولها خفية في تهريب الأفاقين إلى فلسطين .

أما أمريكا فهي تضحك الثكالى بسياستها في هذه المشكلة ، فهي تلجأ إلى هيئة الأمم المتحدة ويقوم مندوبها في اجتماع اللجنة الخاصة ببحث مشكلة فلسطين ، ويكشف القناع عن سياسة هذه الدولة المحدثة في السياسة ويقول إن حكومته تؤيد مشروع تقسيم فلسطين ، وتؤيد سياسة الهجرة التي اقترحتها لجنة التحقيق في تقريرها ، وليس هذا فحسب ، بل تتبرع هذه السياسة الأمريكية فتقترح تجنيد قوة دولية من المتطوعين بواسطة هيئة الأمم المتحدة ، لكي تتولى الاشراف على تنفيذ قرارات الجمعية العمومية .

فماذا تريد أمريكا بهذا التدخل المفاجىء ، بعد أن كانت بمعزل عن الغلو في السياسة الاستعمارية ، ولها مصالح كثيرة في بلاد العرب تعمل جاهدة على تثبيتها وتوطيدها ؟

لا ريب في أنها تريد أن تحل محل بريطانيا في حمل خبائث الاستعمار بعد أن شاخت أم الخبائث ، ولا ريب في أن نفسها تسول لها أن اليهود أهل جد وعمل وإتقان وأصحاب مال وافر وأنهم إذا تم لهم إقامة دولة يهودية في قلب البلاد العربية ، فذلك إيذان باستيلائهم على الميادين الاقتصادية كلها ، وأن يهود إذا فعلت ذلك ضمنت لأمريكا الحق الأول في السياسة الاقتصادية في الشرق الأوسط كله . وإذن فأمريكا تريد أن تلتمس أسباباً للتدخل في مسألة فلسطين ، فهي تؤيد اليهود مستهينة بمصالحها في بلاد العرب ، لكي يقع القتال بين العرب واليهود ، وتنتهز هي الفرصة فتعين اليهود بالمال والسلاح والرجال ، ثم تلعب هي وبريطانيا لعباً خبيثاً في هيئة الأمم المتحدة لكي يجندوا جيشاً دولياً لتنفيذ مشروع التقسيم بالقوة ، ويكون توام هذا الجيش من أهل العصبية الصهيونية الذين استشرى أمرهم في بلاد أمريكا . ويومئذ تدخل أمريكا الشرق الأوسط كله بصك توقعه لها هيئة الأمم المتحدة — أي سوق الرقيق الدولية

وإذن فالأمر كما ترى بين كإسفار الصباح ، وهو أن هاتين الدولتين الاستعماريتين تتخذان أسلوبين مختلفين في الظاهر متفقين في الباطن ، يفضي إلى حمل العرب على قتال يهود . ونتم ما أرادا

ونحن العرب نقبل منهما هذا التحريض الخبيث ، لأننا نريد أن نقاتل اليهود قتالا لا هوادة فيه ، فإن دماءنا ليست أغلى من حريتنا وشرفنا وديننا . ولعل أمريكا قد سمعت لأولئك الأفاقين اليهود الذين يزعمون لها أننا نهدد على غير طائل وإنما هي جعجعة ولا طحن لها ، فآثرت أن تكشف سوءتها وقبيح نيتها للعرب ونصالح اليهود وتتملقهم وتحطب في حبالهم . فلتعلم أمريكا ولتعلم بريطانيا أنا لسنا كاليهود ولسنا كسواهم من الذين يجرؤون لأنهم يحملون أسباب الغدر والخيانة والإبادة ، فلو لقوا أعداءهم وجهاً لوجه لفروا واندحروا صاغرين . إن العرب ليريقون دماءهم في سبيل الحرية والشرف والنبل وإن كانت كثرة السلاح مما يعوزهم ، وفرق بين النذل الجبان والشريف الشجاع ، فهذا يكون أقل السلاح حصناً له وحافزاً ومحرضاً ، وذلك إذا رأى حملة صدق انتثرت نفسه وطار قلبه وألقى عدته وسلاحه وأغمض في الأرض هارباً . فهذه يهود وهذا نحن أيها المخدوعون ...

إن بريطانيا وأمريكا وصحافتها قد استعلنت لنا بأحقادها فلنعلن نحن أحقادنا . وإن يهود قد استغرت بقوتها وبمعونة بريطانيا وأمريكا ومظاهرتها لعدوانها علينا ، فلا تأخذنا بعد اليوم رحمة بيهود ، فقد رحمناهم يوم اضطهدوا ، وآويناهم أيام شردوا ، وأفسحنا لهم بلادنا وقد طردتهم الأمم المسيحية القديمة طرد الكلاب الجربى ، ولكنهم أنكروا ذلك ونسوه ، وعضوا اليد التي مسحت آلامهم وجروحهم على مر العصور . ونعم ما فعلت يهود ، فإنها قد أيقظتنا من غفلتنا ، ويسرت لنا أن ننقذ العالم عاجلا أو آجلا من عربدة هذا الجيل الذي طهر الله أسلافه ، وصب لعنته على الأخلاف لعنة باقية حتى يرث الله الأرض ومن عليها ...

محمود محمد شاكر

من شوارد الشـــــــواهد*

للأســـتاذ على الطنطاوى

١٩ – ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعتنى
يمينك فانظر أىّ كف تبدّل

لمن بن أوس المزنى ، شاعر مخضرم مجيد معمَّر ، من قصيدته التى يقول فيها :

لعمرك ما أدرى وإنى لأوْجَل على أينا تأتى المنيّة أوّل
وإنى أخوك الدائم العهد لم أخن
إنَ أبزاك[1] خصم أو نبا بك منزل
أحارب من حاربت من ذوى عداوة
وأحبس مالى إن غرمت فأعقل
وإن سُؤْتنى يوماً صبرت إلى غد ليعقب يوماً منك آخرُ مقبلُ
ستقطع ... (البيت) .
وفى الناس إن رثّت حبالك واصل
وفى الأرض عن دار القِلى متحوّل
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حدّ السيف من أن تضيمه
إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

وهى طويلة جيدة ، ومنها البيت السائر :

إذا انصرفت نفسى عن الشىء لم تكد
إليه بوجه آخر الدهر تقبـــل

٢٠ – فهبك يمينى استأكلت فقطعتها
وجشمت قلبى صـــبره فتشجعا

لدعبل يعاتب مسلم بن الوليد ، من قصيدته التى يقول فيها :

أبا مَخْلَدَ كنا عقيدى مودة هوانا وقلبانا جميعاً معاً معا
فصيّرتنى بعد انتكاثك[1] متهما لنفسى عليها أرهب الخلق أجمعا
غششت الهوى حتى تداعت أصوله
بنا وابتذلت الود حتى تقطعا
وانزلت من بين الجوانح والحشى ذخيرة ود طالما قد تمنعا
فلا تَلْحَيَنّى ليس لى فيك مطمع
تخرّقت حتى لم أجد لك مرقعا
فهبك ... (البيت) .

٢١ – فإما أن تكون أخى بحق فأعرف منك غثّى من سمينى
وإلا فاطّرحنى واتخذنى عدواً أتّقيك وتتّقينى

للمثـقّب العبدى[2] ، وبعده :

فما أدرى إذا يممت أرضاً أريد الخير أيهما يلينى
أ ألخـــير الذى أنا مبتغيه أم الشر الذى هو يبتغينى

٢٢ – إن القلوب إذا تنافر ودها
مثل الزجاجة كسرها لا يشعب

لصالح بن عبد القدوس ، من قصيدته الطويلة فى الحكم ، ومطلعها :

صرمت حبالك بعد وصلك زينب والدهر فيه تصرم وتقلب
فدع الصبا فلقد عداك زمانه واجهد فعمرك مرّ منه الأطيب

وبعدهما البيت السائر :

ذهب الشباب فما له من عودة وأتى الشيب فأين منه المهرب

ومنها :

لا خير فى ود امرىء متملق حلو اللسان وقلبه يتلهب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

٢٣ – تمسك إن ظفرت بذيل حر
فإن الحرّ فى الدنيا قليـــل

من شعر الفقهاء ، وهو لأبى اسحق ابراهيم بن على بن يوسف الشيرازى الفيروز آبادى العالم العَـلَم المعدود من أعلام الملة وقبله :

سألت الناس عن خل وفى فقالوا : ما إلى هذا سبيل !

٢٤ – إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا
من كان يألفهم فى المنزل الخشن

لابراهيم بن العباس الصولى ، الكاتب الشاعر ، وقبله :

(*) قد أجد البيت الواحد منسوباً لأكثر من شاعر ، وأجد أبياتاً متداخلات «لاتحاد الوزن والروى» وهن من قصائد مختلفات ، فأرجو من وقف على نص فيه تصحيح نسبة بيت مما ذكرت أن يرشد إليه .

(١) أى عدا عليك وقهرك .

(١) انتقاضك وتحولك (٢) سيأتى ذكره .

أولى البرية طراً أن تواسيه
عند السرور الذى واساك فى الحزن

٢٥ — حسن قول (نعم) من بعد (لا)
وقبيح قول (لا) بعد (نعم)

للمثقب العبدى وهو عائذ بن محصن بن ثعلبة(١) ، شاعر جاهلى قديم كان فى زمن عمرو بن هند وعمر حتى أدرك النعمان ابن المنذر ، سمى المثقب (بالكسر) لبيت قاله وهو :

ظهرن بكلة وسدلن رقماً   وثقبن الوصاوص للعيون

من قطعة له يقول فيها :

لا تقولن إذا ما لم ترد   إن تتم الوعد فى شىء : (نعم)
حسن قول (نعم) ... (البيت)
إن (لا) بعد (نعم) فاحشة   فبـ(لا) فابدأ إذا خفت الندم
وإذا قلت (نعم) فاصبر لها   بنجاز الوعد إن الخلف ذم
أكرم الجار وراع حقه   إن عرفان الفتى الحق كرم
إن شر الناس من يمدحنى   حين يلقانى وإن غبت شتم

٢٦ — مَنْ ذا الذى ما ساء قط   ومن له الحسنى فقط

للحريرى ، من المقامة الشعرية ، وأول المقطوعة :

سامح أخاك إذا خلَطْ   منه الإصابة بالغلطْ
وتجافَ عن تعنيفه   إن زاغ يوماً أو قسطْ
واعلم بأنك إن طلبت (م) مهذباً رمت الشطط

٢٧ — وإن امرأ يمسى ويصبح سالماً
من الناس إلا ما جنى لسعيد

للمعلوط بن بَدَل القُريعى(٢) وقبله :

متى ما يرى الناس الغنىَّ وجارُه   فقير يقولوا عاجز وجليد
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى   ولكن أحاظ(٣) قسمت وجدود
إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً   فمطلبها كهلا عليه شديد
وكائن رأينا(٤) من غنى مُذمَّم   وصُعلوك قوم مات وهو حميد
وإن امرأ ... (البيت) .

(١) وقيل اسمه شاس بن عائذ وقيل غير ذلك .
(٢) روى الأبيات حبيب فى الحماسة ولم يسمه وسماه صاحب اللسان
(٣) لا يجمع فى القياس حظ على أحاظى .
(٤) أى كثيراً ما رأينا .

٢٨ — نوائب الدهر أدبتنى   وإنما يوعظ الأديب

لسليمان بن وهب ، وزير المهتدى قاله فى نكبته ، وبعده :

قد ذقت حلواً وذقت مراً   كذاك عيش الفتى ضروب
ما مر بؤس ولا نعيم   إلا ولى فيهما نصيب

٢٩ — اخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته
ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

لمحمد بن بشير الرياشى ، شاعر عباسى ماجن ظريف هجاء ، لم يفارق البصرة ولم يتكسب بشعره ، وقبله :

كم من فتى قصرت فى الرزق خطوته
ألفيته بسهام الرزق قد فلجا(١)
لا تيأسن — وإن طالت مطالبة —
إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
إن الأمور إذا انسدت مسالكها
فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا(٢)
اخلق بذى الصبر ... (البيت)

٣٠ — من راقب الناس مات غماً   وفاز باللذة الجسور

لسَلْم الخاسر ، ابن عمرو بن حماد ، وسمى الخاسر لأنه باع (كما قالوا) مصحفاً كان له واشترى بثمنه طنبوراً ، أخذه من قول (أستاذه) بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته   وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

٣١ — فلا وأبيك ما فى العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

رواه أبو تمام فى الحماسة ، ولم ينسبه ، وقبله :

وأعرض عن مطاعم قد أراها   فأتركها وفى بطنى انطواء
يعيش المرء ما استحيا بخير   ويبقى العود ما بقى اللحاء
فلا وأبيك ... (البيت)

٣٢ — يريد المرء أن يعطى مناه   ويأبى الله إلا ما يشاء

لقيس بن الخطيم الأوسى ، شاعر فارس قتل على جاهليته من قطعة له يقول فيها :

وما بعض الإقامة فى ديار   يهون بها الفتى إلا بلاء

(١) ظفر وفاز
(٢) انقفل ، وروى ينفتق بدل يفتح

وبعض خلائق الأقوام داء   كداء البطن ليس له دواء
يريد المرء ... (البيت)
وكل شديدة نزلت بقوم   سيأتى بعد شدتها رخاء
ولا يعطى الحريص غنى لحرص   وقد ينمى[1] على الجود الثراء
غنى النفس ما عمرت غنى   وفقر النفس ما عمرت شقاء

٣٣ — أضاعونى وأى فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر

للعرجى ، وهو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، شاعر إسلامى حجازى كان ينحو منحى ابن أبى ربيعة فى غزله ، قاله لما حبس ، وبعده :

وصبر عند معترك المنايا   وقد شرعت أسنتها لنحرى
أجرر فى المجامع كل يوم   فيا لله مظلمتى وقسرى
كأنى لم أكن فيهم وسيطاً   ولم تك نسبتى فى آل عمرو
عسى الملك المجيب لمن دعاه   سينجينى فيعلم كيف شكرى
فأجزى بالكرامة أهل ودى   وأجزى بالضغائن أهل وترى[2]

٣٤ — أشاب الصغير وأفنى الكبير(م)
كر الغداة ومر العشى

للصلتان العبدى[3] ، وهو قثم بن خبيه من عبد القيس ، شاعر إسلامى خبيث اللسان ، وبعده :

إذا ليلة هرمت يومها   أتى بعد ذلك يوم فتى
نروح ونغدو لحاجاتنا   وحاجة من عاش لا تنقضى
ويسلبه الموت أثوابه   ويمنعه الموت ما يشتهى
تموت مع المرء حاجاته   وتبقى له حاجة ما بقى

٣٥ — لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة
لقد سرنى أنى خطرت ببالك

لابن الدمينة ، عبيد الله بن عبد الله الخثعمى ، والدمينة أمه ، شاعر إسلامى غزل مجيد ، من قصيدته التى أرويها كلها لنفاستها :

قفى يا أميم القلب نقض لبانة   ونشك الهوى ثم افعلى مابدا لك

(١) ينمو (واوى ويائى)
(٢) راجع قصة أبى حنيفة وجاره ، وقصة المأمون فى سداد (بالفتح) وسداد (بالكسر) وهما مرويتان فى أكثر كتب الأدب
(٣) وهو غير الصلتان الضبي ، وغير الصلتان الفهمى ، الذى روى الجاحظ بيت : (العبد يقرع بالعصا) له ، والصحيح أنه لأبى الأسود

سلى البانة الغيناء بالأجرع[1] الذى   به البان هل حييت أطلال دارك
وهل قمت بعد الرائحين عشية
مقام أخى البأساء[2] واخترت ذلك
وهل هملت عيناى فى الدار غدوة   بدمع كنظم اللؤلؤ المتهالك[3]
أرى الناس يرجون الربيع وإنما   ربيعى الذى أرجو نوال وصالك
أرى الناس يخشون السنين وإنما
سنى[4] التى أخشى صروف احتمالك[5]

ومنها :

ليهنئك إمساكى بكفى على الحشى   ورقراق عينى رهبة من زيالك
ولو قلت طأ فى النار أعلم أنه   هوى منك أو مدن لنا من وصالك
لقدمت رجلى نحوها فوطئتها   هدى منك لى أو ضلة من ضلالك
أبينى : أفى يمنى يديك جعلتنى   فأفرح أم صيرتنى فى شمالك
لئن ساءنى ... (البيت)
تعاللت كى أشجى وما بك علة   تريدين قتلى ؟ قد ظفرت بذلك

٣٦ — ولى كبد مقروحة من يبيعنى
بها كبداً ليست بذات قروح

له[6] — من قصيدة له فيها إقواء . وبعده :

أبى الناس ويب الناس لا يشترونها
ومن ذا الذى يشرى دوى بصحيح[7]

٣٧ — كل امرىء صائر يوماً لشيمته
وإن تخلق أخلاقاً إلى حين

لذى الأصبع العدوانى ، واسمه حرثان بن محرب ، من قصيدة له طويلة[8] أولها :

يامن لقلب طويل البث محزون   أمسى تذكر ريا أم هارون

(١) الأجرع المكان السهل المختلط بالرمل والغيناء الوارفة الظل
(٢) أي البائس الفقير
(٣) المتساقط
(٤) يخلط الناس فى الاستعمال بين العام والسنة ، وهما مترادفتان ولكن ليس فى اللغة كلمتان بمعنى واحد (انظر فى كتاب الصاحبي وكتاب الفروق اللغوية) ولابد من اختصاص كل لفظة بشىء لا تدل عليه الأخرى ، فالسنة فى الأصل للشدة والقحط والعام لليسر والرخاء (اقرأ آيات سورة يوسف) والسنة عند العرب مرادفة الشدة والبلاء تقول أصيبوا بالسنين وأصابتهم السنة ومن تتبع كلام العرب وجد ذلك مستفيضاً وقد نبه عليه شيخنا المغربى فى الرسالة من أمد بعيد
(٥) ارتحالك
(٦) رواية القالى وياقوت
(٧) ويب الناس ويح الناس والدوى الشديد المرض
(٨) القصيدة فى الأمالى (الجزء الأول)

رأي الأكثرية في السياسة الشرعية

للدكتور السيد محمد يوسف الهندي

أثار الأستاذ عبد المتعال الصعيدي في مقال له نشر في العدد ٧٣٢ من «الرسالة» مسألة الأخذ بـ«رأي الأكثرية في السياسة الشرعية» وهي مسألة تنطوي على مقارنة النظام الديمقراطي البرلماني الحديث مع النظام التشريعي والحكومي الإسلامي من ناحية الطبيعة والوضع والروح جميعاً ، فأول ما يجب أن يلاحظ في هذا الصدد أن النظام الأوربي إنما هو وليد ظروف تختص بالمجتمع الغربي وغني عن القول أن المجتمع الغربي لا يبتني على أساس غاية دينية تنسي المؤمنين بها والعاملين في سبيلها جميع الفوارق البشرية كالإقليمية والطائفية والوطنية والقومية وكذلك يعدم في أي مجتمع غير إسلامي مبادىء تضمن للناس العدالة في معاملاتهم بعضهم مع بعض وتكفيهم التناحر فيما بينهم لأغراض دنيوية ، فإذاً الاختلاف الناشئ بين أفراد المجتمع الغربي هو في الحقيقة اختلاف المصالح المادية بين مختلف طبقات الشعب التي لا تزال في حالة حرب مستمرة تبعث كل واحدة منها على حشد القوة (وهي ترتكز في العدد) ضد الأخرى ، ومن المعروف أن النظام السياسي إنما يصطبغ بصبغة المجتمع الذي ينشأ منه ، وعلى ذلك فالنظام الديمقراطي الحديث ليس إلا وسيلة لتسوية الاختلافات الناشئة عن الطموح إلى أغراض مادية لا تسوية حاسمة على أساس المبدأ والحق بل تسوية تمكن فريقاً من الشعب من إدارة الشئون لصالح « زبائنه » فقط وكذلك يكون الحكم سجالا بين مختلف أحزاب الشعب الذي لا يزال من حيث المجموع قلقاً غير مطمئن إلى التوازن والعدل الاجتماعي ، أما المجتمع الإسلامي فبالعكس يبتني على مبادىء يتلقاها الشعب من الله ويتعهد على نفسه كل فرد من الشعب على السواء بتطبيقها على أعماله وتنفيذها فيما بين الناس بما فيها من صالح الإنسانية وضمان الحق والنصفة في المعاش والمعيشة . فالمجتمع الإسلامي موحد الكلمة ، موحد الإيمان

ومنها :

ولي ابن عم على ما كان من خلق   مختلفان فأقليه ويقليني

أزرى بنا أننا شالت نعامتنا   فخالني دونه بل خلته دوني

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب   عني ولا أنت دياني فتخزوني

ولا تقوت عيالي يوم مسغبة   ولا بنفسك في العزاء تكفيني

فإن ترد عرض الدنيا بمنقصتي   فإن ذلك مما ليس يشجيني

٣٨ — فإن تكن الأيام فينا تبدلت   ببؤسى ونعمى والحوادث تفعل

فما لينت منا قناة صليبة   ولا ذللتنا للتي ليس تجمل

لإبراهيم بن كنيف النبهاني ، من شعراء الحماسة ، من قطعة له ، منها :

تعز فإن الصبر بالحر أجمل   وليس على ريب الزمان معول

فلو كان يغني أن يرى المرء جازعاً   لحادثة أو كان يغني التذلل

لكان التعزي عند كل مصيبة   ونائبة بالحر أولى وأجمل

فكيف وكل ليس يعدو حمامه   وما لامرىء عما قضى الله مزحل

فإن تكن ... (البيتين) .

ولكن رحلناها نفوساً كريمة   تحمل ما لا يستطاع فتحمل

وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا   فصحت لنا الأعراض والناس هزل

٣٩ — وإنما أولادنا بيننا   أكبادنا تمشي على الأرض

لحطان بن المعلى ، شاعر إسلامي من شعراء الحماسة ، من قطعة له يقول فيها :

أنزلني الدهر على حكمه   من شامخ عال إلى خفض

وغالني الدهر بوفر الغنى   فليس لي مال سوى عرضي

أبكاني الدهر ويا ربما   أضحكني الدهر بما يرضي

لولا بنيات كزغب القطا   رددن من بعض إلى بعض

لكان لي مضطرب واسع   في الأرض ذات الطول والعرض

وإنما أولادنا ... (البيت) .

لو هبت الريح على بعضهم   لامتنعت عيني من الغمض

علي الطنطاوي

بالمبادىء الحقة وفوق كل شيء موحد الشعور بالمسئولية لدى العليم الحكيم فى حق الأفراد ومجموع الأمة ، فأى مجال فى مجتمع مثل هذا أن ينقسم إلى أحزاب متعارضة الهوى فى الدنيا وما فيها مغرضة متحيزة فى نواياها وأعمالها ؟ ولا يعدم المتتبع لأحكام القرآن والسنة ما يقنعه بأن النظام الإسلامى السياسى إنما هو مؤسس على التعاون والتضامن والتآزر الفعلى بين المسلمين كافة فى السلم وفى الحرب من غير فرق وأنه لايعترف بحال من الأحوال بوجود معارضة مستقرة التى هى من أهم مظاهر الديمقراطية البرلمانية

وإنما مرد هذه الميزة للنظام الإسلامى إلى أن الاتفاق على الشريعة التى هى قانون الحياة بأوسع معانيه ، سابق على تكون الهيئة الاجتماعية والسياسية بين المسلمين بل هى منشأها وقوامها بحيث ينزل المسلمون جميعاً بمنزلة لجنة تنفيذية لا غير ، ومن المعروف أن المعارضة لا مكان لها فى لجنة تنفيذية قط ، أما الحال فى الغرب فعلى العكس تماماً لأن هناك تكونت الهيئة الاجتماعية أولا على أساس بعض المصالح المشتركة بطريق الارتقاء غير الشعورى ثم هى أقبلت على التشريع لافتقارها إلى وضع حدود للأعمال الإنسانية التى لم تزل ولا تزال معرضة للإفراط والتفريط ولما لم يكن لها مستند إلى المصدر الأعلى اندفعت بطبيعة الحال إلى التعويل على العقل الذى قلما يتخلص تماماً من أسر الهوى فتعذر عليها « الاتفاق » فى التشريع لكون أفرادها كثيرى الهوى شتى المسالك نتيجة لعدم ارتباطهم بحدود من الله فإذا فشلت الهيئة الاجتماعية الغربية فى تحقيق « الاتفاق » « استكانت » إذ ذاك « إلى الاختلاف » واهتدت إلى إيجاد نظام للتشريع يؤدى إلى حفظ السلام وسير الأعمال غير معرقلة مع عدم اقتناع عدد غير قليل بما ينتج منه وهذا النظام هو النظام الديمقراطى الحديث . .

ولا يخيل إلى القارىء أن باب التشريع قد أقفل فى الشريعة الإسلامية فإن الشريعة الإسلامية بصفتها نظاماً دائم النمو والاتساع تتضمن فى ذاتها الطرق المسنونة والأساليب الواضحة لكفاءة الأحوال المتجددة والظروف الطارئة على ممر الأيام والعصور ولكن مهمة التشريع عند المسلمين إنما تقتصر على تطبيق المبادىء المنصوصة عليها على الأحوال غير المحسوبة لها .

وهذه المهمة لا تتأدى إلا على أيدى العلماء المعروفين بالفقه فى الدين والصدق والتقوى فى أعمالهم الحائزين على ثقة الناس فى أماناتهم فيعتبر الإسلام هذه المهمة من اختصاصهم ولا يسمح بالتدخل فيها لكل من يفوز بكثرة الأصوات سواء وجدت فيه المؤهلات الخاصة والشروط اللازمة أم لا كما هو الحال فى النظام الديمقراطى الأوربى …

ويتضح مما قيل آنفاً أن الاختلاف الناشىء بين العلماء المسلمين الثابتين على التقوى إنما هو بمثابة مناقشة علمية أكاديمية ناشئة عن النيات الخالصة والتحريات الصادقة ولا يشوبه شيء من الهوى أو رعاية مصالح الناخبين فى أى قطر مخصوص ومثل هذا الاختلاف لا شك أنه رحمة من حيث أنه يؤدى إلى تثبيت الحقائق الإسلامية وسير الأمور حسب مقتضى القانون الإلهى فى جميع الأزمنة والعصور …

وما عدا القياس والاجتهاد هناك طريقة أخرى للتشريع فى الإسلام ألا وهو الإجماع ومبناه أن الإيمان والعمل بالإسلام يخلقان فى المسلم ملكة تدفعه إلى الاتجاهات التى تتفق هى والروح الإسلامى وإن لم ينص القرآن والسنة على شيء فى صددها فهذا فيما يتعلق بالأمور الدينية مع فهمنا الدين بأوسع معانيه وأشملها أى النظام الذى يسيطر على جميع الأعمال الفردية والاجتماعية مما لها شأن أدبى وأخلاقى …

أما المسائل من قبيل تأبير النخل فلا شأن للاسلام أو أى نظام تشريعى بها لأنها من اختصاص الفنانين ومدارها على التجربة والمشاهدة لا غير …

فلم يبق الآن إلا بعض أمور أسميها أموراً إدارية محضة مثل الحرب والسلم والخوف والأمن وهى التى يرجع فيها إلى أولى الأمر وأولوا الأمر يقضون فيها بمشورة الناس .

فلا شك أن الإسلام يقدر رأى الأكثرية حق قدره إذا صادف الحق ووافق المبدأ ، ولكن طبيعة النظام الإسلامى تأبى أن تكون للأكثرية أهمية كبرى فى التشريع لأن مصدر السلطة عند الغربيين هو الجمهور وهذا القول يستلزم أن يكون التشريع دائماً حسب إرادة الناس وهم مختلفون فى أهوائهم أما فى الإسلام فمصدر السلطة ليس إلا الله والتشريع لا يكون إلا

وفقاً لمشيئته والمسلمون كلهم سواء فى ابتغاء مرضاته ...

ثم التشريع لا يحتل المكان الأول فى النظام السياسى الإسلامى لأن الإسلام فى نفسه شريعة كاملة أما أمر التفريع والاستنباط بالنظر إلى الأحوال المتجددة فهو موكول إلى نزعته وليس لكل ذى حنجرة أن يصوت فى كل ما يعنيه أو ما لا يعنيه وصفوة القول أن الجمهورية فى الإسلام ليست كالديمقراطية فى الغرب التى مدارها ، بعبارة حكيم الشرق الدكتور محمد إقبال رحمه الله على « تعداد الناس لا على وزنهم » ...

السيد محمد يوسف الهندى

حول مؤتمر الآثار بدمشق

للأستاذ مصطفى كامل إبراهيم

لعل من أهم الخطوات الثقافية الموفقة التى كانت باكورة نشاط اللجنة الثقافية بجامعة الأمم العربية هى عقد مؤتمرى الثقافة والآثار .

ومؤتمرات الثقافة ليست جديدة على العالم العربى فقد كانت فى الجاهلية تنتظم فى أسواق الجزيرة العربية ، ثم كان الخلفاء والأمراء والسلاطين يقيمون شيئاً مثلها فى بلاطهم وتحت رعايتهم ، يجتمع فيها مشهورو أصحاب الأقلام وأمراء الشعر والعلم والفن من بلدان العالم الإسلامى ، وطالما اشترك الخلفاء أنفسهم فى النقاش وتذوقوا لذته . .

على أن دراسة الآثار القديمة لم تكن لتهم القوم كثيراً فى الإسلام فقد كان يخشى المتحدث فى مدنيات الفراعنة أو الأكاسرة أن يتهم بالمروق ، أو أن يعمد منافسوه إلى أن يلصقوا به جريمة الإلحاد أو الردة أو الزندقة . وقد كانت الأخيرة فى فترة ما من حكم العباسيين جريمة تدنى رقبة صاحبها من سيف الجلاد ، مما صرف علماء المسلمين على الدراسة التفصيلية فى تراث الوثنيين فى مصر ، والمجوس بفارس ، والمسيحيين فى مصر والشام .

ثم كان لابد لهذا الإهمال من نتائج : فقد امتدت أيدى العبث والتدمير والسطو والتبديد إلى تراث القدماء ، واستمرت هذه الحال المؤلمة إلى آخر الزمان ، فلم يتردد بدر الجمالى — مثلا — وزير المستنصر الفاطمى فى سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧) م من أن يستخدم بعض أحجار جبانة الجيزة من حول الأهرام لبناء استحكاماته ولا زالت أحجار السورين بأبى النصر والفتوح تحمل رسوماً وكتابات هيرو غليفية . وفى العصر التركى تمكن عثمان كتخدا (الكخيا) من الحصول على قطعة من الحجر « الديوريت » الأخضر مما خلفه قدماء المصريين فاستعملها عتبة لمسجده فى ميدان « الأوبرا » . وليس أعجب من أن تتواتر الشائعات فى سنة ١٩٤٧ — نرجو أن تكون كاذبة — عن فكرة صهر ذهب « توت عنخ آمون » لتغطية النقد المصرى ، وما هو بكاف ولا بعشرة أمثاله .

والشىء الذى لا شك فيه ، هو أن العرب فى وسط الجزيرة سكنوا وادياً غير ذى زرع أحاطت بهم بيئة خالية من الخير ورغد العيش والاستقرار ، فنشأوا نشأة خشنة وعاشوا خلوا من شارات الفن ومخايل المدينة ، لعدم حاجتهم إليها — والحاجة تفتق الحيلة — أو لانصرافهم إلى النضال فى سبيل العيش والتقاتل القبلى . ولما جاء الإسلام بخيره وبركته وأخرج العرب من الظلمات إلى النور ، صرف القوم إلى الفتح وتوطيد دعائم الدين الحنيف ، فلم يذق العرب حلاوة الاستقرار الحقيقى والانصراف إلى التعمير الفنى إلا أبان حكم دولة بنى أمية ، حيث رأوا لزاماً عليهم أن يأخذوا بأسباب المدنيات التى ألفوها أمامهم فى الأمم المغزوة ، فبدأ الفن يلتمع فى جبين الإسلام .

وها هى دمشق الحبيبة التى أشرق من جنباتها القبس الأول من نور الفن الإسلامى فأضاء الشرق والغرب ، وخلق أصولا وقواعد ترسم الغربيون خطاها ونسجوا على منوالها لا يتركونها إلا ليعودوا إليها حتى يومنا هذا . ها هى دمشق تحتضن مؤتمر الآثار العربى وتحله أجل قصورها « قصر المظم » ، تحت رعاية فخامة رئيس الجمهورية السورية الذى أضفى على المؤتمر عنايته مما كان سبباً قوياً فى نجاحه .

ويجدر بنا أن ننوه بجهود المنظمين وهم نخبة من أساتذة الآثار البرزين وعلى رأسهم الدكتور زكى محمد حسن ، والدكتور أحمد بدوى . أما حضرات المندوبين فقد حاضروا فى موضوعات شيقة عن تراث العرب نرجو أن يتم طبعها قريباً ليفيد منها العالم العربى

التواق إلى هذه العلوم التى ظلت ردحاً من الزمن وقفاً على المهتمين من علماء الأجانب ، يكتبونها بلغتهم وكما تمليه عليهم اهواؤهم أما فقهاء الآثار من العرب-فقد كانوا — سامحهم الله — لا يكتبون إلا بلغة من اللغات « الحية » . أما العربية فكانت لا تحظى منهم إلا بجهد ضئيل .

أما المعرض الفريد الذى أقامه الأستاذ حسن عبد الوهاب بصوره — وهى كلها من روائع فنه — فقد أخرج بها زوايا مفصلة هامة للآثار الإسلامية أبرزتها فى غاية من الفخامة والجلال .

ومما يثلج صدورنا نحن العرب أن نرى اليمن الشقيق يطرح اليوم سياسة العزلة والانطواء على النفس وأن نرى عاهله المظيم ، جلالة الإمام يحيى حميد الدين ، يدفع ببلاده العريقة فى تيار النشاط الدولى ، فيضم جهد اليمن إلى جهود شقيقاته فيشتد ساعد العرب وتقوى الأسرة العربية ، وها هو نجله سمو الأمير سيف الإسلام عبد الله وساعده الأيمن الأستاذ العالم السيد على ، نزيل القاهرة الآن ، دائبى النشاط فيما يفيد العرب ومما يذكر لجلالته بالثناء أنه سمح ، لأول مرة ، لعالم عربى هو الأستاذ نحرى زيارة «مأرب» (مدينة سبأ) وطن الملكة « بلقيس » وتصوير آثارها والكتابة عنها .

وللعرب اليوم أن يطمئنوا على تراثهم القوى فى الوطن الكبير ، وقد أصبحت أمانة الآثار ، والحمد لله ، معظمها فى أيدى العارفين بها من أبناء العروبة ، يرون فيها العزة القومية ويضنون على تراث الأجداد ، وكنوزهم أن تذهب هباء ، أو تتسرب التحف النادرة إلى متاحف الأمم الأخرى ... يتلقفونها تلقف القناصة من زواحف الأجانب وتجار المسروقات ؛ ممن حذقوا فى التلصص وأجادوا صناعة التهريب ، فتذهب فى غفلة من العرب فى عصور الاضمحلال السياسى — وهو أصل البلايا — والجهل بقيم الأشياء .

ولما كانت دراسة التاريخ تعتمد اعتماداً كبيراً على دراسة الآثار ، فإن الرواية تظل حائرة قلقة غير مستقرة ، تنهال عليها المطاعن ، وحتى يقرها ويؤيدها السند الأثرى ، فقد أقر المؤتمر نشر الثقافة الأثرية بين أبناء الوطن العربى ، وإقامة المتاحف ، وتبادل الأساتذة وإلقاء المحاضرات ، وعرض الصور ، مما يساعد العرب على استيعاب هذه العلوم القديمة الحديثة فلا يمرون بها مرور العابر الكريم . ولا شك بأن نشر الثقافة الأثرية على هذا الوجه يتيح فرصاً عظيمة لتوثيق روابط الألفة بين أبناء العروبة فى مختلف الأقطار ، وسرعان ما يصبح الوطن العربى الكبير حقيقة ماثلة فى قلب كل عربى

والآثار فضلا عن أنها كنوز مادية . وتراث قوى يعيد ذكرى أيام المجد وعظمة الماضى فهى خير حافز لهمة الجيل الجديد، تنفخ فيه من روح السمو والعزة الوطنية ما يجعله يعمل جاهداً لاسترداد مجد الأيام السالفة وعظمة الأجداد .

وقد أسهمت مصر بكثير من أبنائها فى هذا المؤتمر فكان هناك مندوبون عن الجامعتين وبعض الهيئات . إلا أننا لم نر من يتكلم باسم إدارة حفظ الآثار العربية وهى التى تقوم بالحفظ والترميم والعناية بالآثار الإسلامية ، ليس فى مصر فحسب بل فى بعض الأمم العربية الأخرى وهو عمل خطير الشأن يتركز على العلم والدراية ، وكذلك معهد الآثار بالجيزة فلم يشترك أحد من طلبته فى نشاط المؤتمر .

أما شمال أفريقيا فلها العذر وكفاها ما بها وأعانها الله على ما رزئت به من بلية الاستعمار ، الذى جمع عليها القحط والبغى والاضطهاد

وبعد ... فإننا نرجو مخلصين أن توضع قرارات المؤتمر موضع التنفيذ ، حتى إذا جاء موعد انعقاد المؤتمر التالى ، وقد اتفق عليه أن يكون بالقاهرة ، وجد المؤتمرون أمامهم ثمرات ما عملوا فينصرفون إلى الاستزادة ، والله يجزى العاملين .

القاهرة

مصطفى كامل ابراهيم
وكيل اتحاد الثقافة الأثرية

صور وانطباعات :

الجبـــل الملهم

للأستـــاذ مناور عويس

« هلمى معى من لبنان ياعروس ، معى من لبنان ! ...
انظرى من رأس أمانه ، من رأس شنير وحرمون ،
من خدور الأسود ، من جبال النمور ! ...
تحت لسانك عسل ولبن ، ورائحة ثيابك كرائحة لبنان ! ...
ينبوع جنات ، بئرمياه حية وسيول من لبنان ! . .
طلعته كلبنان ، فتى كالأرز ! ...
أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق ! ... »
« نشيد الإنشاد »

الملك الشاعر الحكيم يتغزل بحبيبته فلا يجد شبيهاً لها أجمل من لبنان .. فما سرلبنان ؟ وما هذا السحر الذى اتشح به لبنان منذ أقدم العصور حتى الآن ؟

الشعراء والفنانون ينشدون جمال لبنان ، والأنبياء يتغزلون بجمال لبنان ، والرعاة والفلاحون ينظمون العتابا والموال فى حب لبنان ! ...

« إذا ذكر لبنان تواردت على الذهن مواكب من الصور والأخيلة والأشباح والأحلام ، وانتشرت فى الأنف روائح الصنوبر والبخور والصعتر والفل والياسمين ، وانتصبت أمام الأعين غابات من الأرز والبلوط تعدو فيها الأسود والنمور والظباء ! »

فينيقيا ، عشتروت ، جبيل ، الأرز ، صور ، بعلبك ، حرمون ، قاديشا ! ... يا لها من أسماء صغيرة لها فى النفوس الشاعرة فعل الصهباء ، فى ذكر هذه الأسماء تلخيص لتاريخ الإنسان القديم وأديانه ، « فعلى شواطئ لبنان ازدهر العقل البشرى وترعرع ، وعلى شواطئ لبنان استيقظت الروح فى الإنسان فعبد الله فى صورة عشتروت » . وفى غابات لبنان مثلت أروع أدوار الحب بين الآلهة كما تخبرنا بذلك الأساطير المصرية والفينيقية ، وفى جبيل تلك البلدة الصغيرة اليوم الواقعة بين طرابلس وبيروت مثلت أفجع مأساة للحب بين (إيزيس) و (أوزاريس) . ومن أمام الأرز الخالد ، الرافع رأسه نحو السماء ، الهازئ بالزمن ، الضاحك من الإنسان وغروره ، أجل من أمام الأرز مرت جيوش رعمسيس ، وجحافل القدونى ، وأبطال بومبى ، ومساعير معاوية ، وقوات السلطان سليم ، وعسا كرابراهيم باشا ... مرت كلها من أمام الأرز مطأطئة الرؤوس خاشعة الأبصار ، حكمت البلاد ودوخت الأمصار ، عمرت ما عمرت وخربت ما خربت ، ثم مضت لسبيلها :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
جليس ولم يسمر بمكة سامر !

وظل الأرز رافعاً رأسه نحو السماء يبتسم ابتسامته الأزلية !

وهذه صور التى كانت فى ما مضى سيدة مدن فينيقيا ، صور التى وقفت فى وجه الاسكندر العظيم وأرغمته وجنوده على تحمل البرد والحر سبعة أشهر خارج أسوارها ، نراها اليوم قرية صغيرة أقرب إلى الخراب منها إلى العمران (فسبحان من رد عامرها خراباً وجعل أنسها وحشة) وأدال منها إلى سواها !

وهذه مدينة البعل التى شهدت عظمة فينيقيا واليونان والرومان ومجد العرب والترك ، ما تزال أعمدتها شاهدة على تفوق العقل البشرى وجبروت الإنسان !

أى مدينة الشمس ! لقد وقفت إزاء آثارك خاشعاً لدى روعة الفن ، حالماً بأشياء غامضة لذيذة كالأمانى ، ناعمة كأنفاس الربيع !

ثم هذان الشيخان الأزليان اللذان كلل الثلج هامتيهما ، واللذان كانا وما زالا رمزاً لعظمة لبنان وروعته وجلاله !

حرمون وصنين ! من وقف أمامهما ولم يحس بقرارة نفسه بالهيبة والوقار ؟ من شهدهما ولم يشعر بالخشوع والتأمل العميق؟!

وكل من أسعده الحظ بزيارة « بشرّى » حيث الأرز الخالد ، وحيث يرقد رقدته الأبدية فقيد الشعر والفن جبران خليل جبران ، ومشى بضع خطوات إلى الجنوب أشرف على واد عميق رهيب ، وهوى سحيقة تبعث الرعب والخشوع فى أقصى القلوب وتذكر الإنسان بالموت والفناء .

هذا الوادى هو وادى (قاديشا) أو وادى القديسين ، وقد دعى كذلك لأن النساك والمتعبدين فى عصور المسيحية الأولى اتخذوا مغاوره معابد ، وكهوفه صوامع يتعبدون فيها ويتهجدون حيث الوحدة الشاملة المنبوطة ، والسكينة الخالدة ، التى لايكدرها

غير هدهدة المياه المنحدرة من فوق الصخور على حصباء الوادي!

فينيقيا، عشتروت، جبيل، بعلبك، حرمون، صنين، الأرز، قاديشا... كلها أسماء تفيض شعراً وإلهاماً وتاريخاً، إنها مصدر وحي للأديب لا ينفد، ومورد عذب للفنان لا ينضب، فقل أن تجد شاعراً أو كاتباً شرقياً كان أو غربياً يخلو شعره أو نثره من وحي هذه الأسماء الملهمة، ذلك لأن لبنان في نظر الشعراء والكتاب - الشرقيين منهم والغربيين - «غابات مسحورة تفوح منها روائح معطرة بأنفاس عشتروت وبعل وغيرهما من آلهة الفينيقيين وأبراج وقصور من المرمر والنحاس، وأسود ونمور وظباء وأيائل وصوامع وهيا كل وأنبياء وقديسين!»

فهذا «لامرتين» شاعر فرنسا العظيم يزور لبنان ويستلهم أرزه فيوحي إليه بآيته الباقية ما بقى الشعر الفرنسي، وأعني بها (سقوط ملاك). وهذا (رينان) الفيلسوف الشهير يأوى إلى أحد أديرة لبنان ليكتب كتابه الخالد «ابن الإنسان»، وكذلك (شاتوبريان) و (هنري بوردو) صاحب القصة الشهيرة «تحت ظلال الأرز»، وهي قصة واقعية معروفة، بطلها فتى مسلم من طرابلس، وبطلتها فتاة مسيحية من بشرى ومسرحها الأرز... وللشاعر الإنجليزي (شلي) مأساة شعرية رائعة عن موت (أوزايرس) وبعثه في مدينة (جُبَيْل) اللبنانية، وكذلك الشاعر الخالد وليم شكسبير وغيرهما كثيرون

فلبنان شاعر وملهم الشعراء، وأبناء لبنان شعراء بالفطرة، «وكيف لا يكونون شعراء إذا سكنوا لبنان وتكحلت عيونهم ببهاء صنين، وتنشقوا عطر الأزهار المنتشرة في أودية الجبل ووهاده، ونظروا إلى البحر الأزرق والسماء الصافية الأديم، وأشرفوا على تلك القمم المزينة بالمعابد والقباب والأجراس، وتظللوا بظل الأرز الخالد المرتفع في الفضاء كأنه صلاة تصعد إلى العلى؟!»

لقد طبع لبنان أهله بطابعه الخاص، ففي أخلاقهم رقة نسيمه وصلابة أرزه ورسوخه، وفي أدبهم ما في لبنان من عذوبة وجمال وسحر وروعة... لقد جرى حبه في قلوبهم مجرى الدم، فهذا شاعرهم داود عمون يوصي قبل موته بأن يجعلوا من ثلج لبنان كفنه، وفي ظل الأرز ضريحه:

يا بني أي إذا حضرت ساعتي والطب أسلمني
فاجعلوا في الأرز مقبرتي وخذوا من ثلجه كفني!

طالما تنافس الشعراء والكتاب قديماً وحديثاً في وصف لبنان وتصوير جماله، فلا ترى شاعراً زاره أو مر به إلا ألهمه من الشعر أطيبه ومن النثر أطربه. فالمتنبي شاعر العظمة الذاتية والطموح عبر بلبنان فلم يثنه طموحه ولم تنسه مطامعه أن يصف وعورة مسالك لبنان وصعوبة قطع عقابه:

وعقاب لبنان، وكيف بقطعها وهو الشتاء وصيفهن شتاء؟!

ويزوره شوقي لأول مرة فيروعه فيهتف:

لبنان والخلد اختراع الله لم يوسم بأزين منهما ملكوته!

ولحافظ ومطران والرصافي والزهاوي وغيرهم من كبار شعراء العربية في لبنان ما يسكر ويرقص... ومن أروع الشعر ما خاطب به الشاعر العبقري الياس أبو شبكه لبنان:

لبنان! يا ريف السماء وثغرها! في كل شبر من ترابك ملهم!
ما أنت بالبلد اليتيم وإنما في كل عين لا تراك تيم!

أما شعراء المهجر وعلى رأسهم جبران ونعيمه والقروي والريحاني وأبو ماضي وفرحات والمعلوف وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم الآن، فقد جعلوا من لبنان وطناً روحياً يحجون إليه بأرواحهم ويلهجون به في يقظتهم ومنامهم، فأبدعوا لنا من تغنيهم بلبنان والحنين إلى لبنان أدباً جديداً وروحاً جديدة لم نعهدها في الأدب العربي من قبل، فرفعوا بذلك رأس الضاد عالياً، ولفتوا أنظار الغرب إلى هذا الشرق الحالم المتأمل الذي تتلمذوا عليه في ما سلف من الزمان وقبسوا من أنواره، والذي سوف يعودون إلى أحضانه حينما ترهقهم هذه الحياة المادية التي يرزحون اليوم تحت أعبائها الثقيلة...!

فبلد تحج إليه قلوب الناس من جميع أقطار المسكونة، وتحلق فوقه أرواح الشعراء والملهمين من جميع الأمم والأجناس، بلد ينجب الأبطال والبابوات والقياصرة العظام، وينشئ الفلاسفة الأفذاذ والشعراء والكتاب والفنانين والقديسين...

بلد من أبنائه ميخائيل نعيمه وجبران والريحاني وهي لا شك في أنه بلد جدير بكل عربي القلب واللسان أن يحبه ويكبره ويتعلق به، لأنه من البلاد العربية كالقطب من الدائرة، وكالقلب من الجسم... فحيا الله لبنان وأبناء لبنان!

(يافا) منور عويس

مدرس الأدب العربي بكلية تراسانطه بيافا

٤ — من ذكرياتي في بلاد النوبة :

جغرافيـــة البــــلاد

للأســـتاذ عبد الحفيظ أبو السعود

وما كدنا نقيم بالمدرسة ، ونزاول عملنا فيها ، ونتصل بهذه الحياة الجديدة ، ونتعرف إلى الأهلين في هذه البلاد ، ونجوب أنحاءها ، ونشاهد آفاقها — ما كدنا نفعل ذلك ، حتى أدركنا قيمة المعرفة ، ومنزلة الترحال ، والانتقال من مكان إلى مكان ..

لقد شعر كل منا بالتقصير في حق بلاده ، والتفريط في مصلحة وطنه ، لأنه لا يكاد يعرف شيئاً عن هذا الوطن ، الذي تقله أرضه ، وتظله سماؤه ، وينشق عبير روضاته ، وينعم بثماره وخيراته ...

أدركنا هذا ، وشعرنا به وتمثل لنا حينئذ نشاط الأجانب ، وقيمة الرحلات عندهم ، وأثرها في حياتهم ، وكيف أنهم ارتفعوا بها قدراً ، وعظموا بها منزلة ، وخلدوا بها ذكراً ، وبعدوا شأواً ودفعتهم إلى العمل المنتج ، والسعي الحثيث !.

وهالنا أن يكون نصيبنا من جغرافية بلادنا سوى معلومات ضئيلة ، لا تنبض بالحياة ، ولا تكاد تنهض على قدمين ، أو تقوم على ساق ، لأنها تنبت في حجرات الدراسة فحسب ، ولا تنال حظها من واقعية الحياة !!

ويقيني أنه واجب على المثقف إذا حل ببلد ، أن يعطيه شيئاً من اهتمامه ، وجانباً من عنايته ، فيدرسه دراسة توقفه على جميع ما يعنيه ، من مختلف نواحيه ، بحيث يجيب إجابة حسنة إذا سئل عنه وخوطب بشأنه ..

وإذا فهم الإنسان البيئة الجديدة التي يحيا فيها ، أمكنه أن ينتج على خير ما يحب ، وأن يؤثر فيها كما يريد ، دون أن تتكاءده عقبة ، أو تقف في سبيله صعوبة ، أية كانت ... ومن الخطأ أن يترك بيئة دون أن يحدث فيها أثراً يذكره به أهلها ، ويحيا به في ذكراهم على الدوام .

لهذا كله ، عنيت بدراسة بلاد النوبة ، ولن يكلفك معرفة جغرافيتها ، أكثر من نظرة فاحصة إلى خريطة الوجه القبلي ، وبخاصة مديرية أسوان ، لتدرك أن الجزء المزروع شريط ضيق على شاطيء النيل ... بيد أن هذا الشريط يكاد ينعدم تماماً ، ويتلاشى في المسافة ما بين الشلال وحلفا ، وهذا الجزء نفسه هو بلاد النوبة ، إحدى مناطق القطر المصري ، وهي جزء من مديرية أسوان ، غير مطروق .. ولذا فبلاد النوبة قليلة السكان ، لا تحظى بإقبال المصريين ، مثقفين أو غير مثقفين ، ولا بإقبال أهلها أنفسهم على العمل فيها ، والانتفاع منها !!

وحدود هذه المنطقة الشلال شمالا ، وأدندان جنوباً ، وهي آخر الحدود المصرية كما قضت بذلك السياسة الغاشمة ، سياسة الاحتلال المقيت . ومن الشرق والغرب على السواء ، سلاسل جبال تختلف ارتفاعاً وضخامة ، وصحارى منبسطة واسعة ، لا يكاد يقيم فيها الإنسان ، اللهم إلا الجزء الواقع على النيل مباشرة فيضم نجوعاً كثيرة متناثرة على الشاطئين ، وهي مثال الفقر والحاجة ، ورمز البؤس القاتل ، والشقاء الأليم .. وهي مع هذا عنوان التضحية ، والتفاني في حب الوطن ، حيث مسقط الرءوس مهما اشتد البلاء ، وتمادى القدر في اللأواء !!

والمسافة من الشلال إلى وادي حلفا ، حوالي ثلاثمائة وخمسين كيلو متر ، مقسمة إلى أربع وأربعين محطة تقريباً ، تقف الباخرة البطيئة (البوستة) في كل منها ، تحمل البريد ، والبضائع والركاب ، منها وإليها ، ولا تقف الباخرة السريعة إلا مرة واحدة في عنيبة ..

وإذا كان هذا الاسم (بلاد النوبة) يلقي في روع الإنسان حين يسمعه ، أو يقرأ عنه أن سكان هذه البلاد نوبيون جميعاً ، فإن الحقيقة غير هذا ، والواقع يخالفه .. ذلك لأن هذه البلاد تنقسم إلى ثلاث مناطق تختلف كل منها عن الأخرى تمام الاختلاف ، وتباينها إلى حد كبير .

فالمنطقة الأولى من الشلال إلى المضيق ، وهي خمس عشرة محطة : الشلال ، دهميت ، الأمباركاب ، خور رحمة ، أبو هور ، مرواو ، مرية ، قرشة ، جرف حسين ، كشتمنة ، الدكة ، العلاق ، قورته ، السيالة ، المضيق .

وللشلال شهرة بالملاحة ، فأكثر الملاحين الذين يشتغلون في

البواخر النيلية بوجه عام ، تجارية وحكومية ، وشراعية ، من هذه البلاد الصغيرة المسماة بالشلال !!

وإنك لتعجب أشد العجب حينما ترى أبناء هذه البلدة يثبون فى البواخر وثباً ، ويقفزون هنا وهناك ، وكأنما ولدوا على ظهور هذه البواخر ، وعلى صفحات النيل ، وبين موجاته العاتية ، وتياره الجارف ، ومع هذا فلا ينالهم أذى ولا يلحقهم مكروه !!

بيد أن الألم يحز فى نفسك حزاً ، حينما تراهم يرتدون الأسمال البالية ، التى لا تكاد تستر شيئاً من أبدانهم وأجسامهم ! تلك الأجسام الهزيلة الضعيفة ، التى لا تكاد تقوى على الحركة والحياة ، فلقد اجتمع عليها المهلكات الثلاث : الفقر والمرض والجهل … وما أكثر هؤلاء الصبية فى محط الشلال ، حيث القطر الحديدية ، والبواخر النيلية ..

وفى الدكة مشروع للرى ، ولهذا فقد اشتغل كثير من أهلها بالزراعة ، وقد شعرت وزارة المعارف بازدياد حركة التعليم فى هذه البلاد فأنشأت فى الدكة مدرسة ابتدائية ، حتى تقاوم الجهل وتثقف العقول ، وتنير الأذهان والفهوم ..

وكذلك فى كل من العلاقى ، والسيالة ، مشروع للرى ، بعث النشاط نسبياً فى أهل هذه البلاد وما جاورها ، وجذبها إلى موطنها الأصلى ، بدل التشرد فى كثير من بلاد القطر ، سعياً وراء الرزق والقوت ، ومزاولة أعمال ومهن ، اشتهرت بهم ، واشتهروا بها ، ولكنها لا تناسبهم الآن ، أو بالأحرى لا يرضى عنها الجيل المتعلم الجديد ، الذى تعلم واكتملت ثقافته ، واتسعت مداركه …

والمنطقة الثانية من السبوع ، إلى كرسكو ، وهى ست محطات : السبوع ، وادى العرب ، شاترمة ، المالكى ، السنقارى كرسكو ، وليس فى هذه المنطقة مشروعات للرى ، ومع هذا فأهلها يزرعون المساحات القليلة الضئيلة على جانبى النيل ، ويجدون فى هذا مشقة لا تكاد توصف ، ويكفى أن تدرك ، أنهم يجلبون (الطمى) من النيل عند ما ينحسر الماء ، ويضعونه فوق السفح الصخرى إلى حد يكفى لنمو النبات ، ثم يرفعون الماء بالدوالى والنواعير ، ويبذلون فى ذلك جهداً لا يقاس به جهد إنسان والغنى القادر فيهم من يصلح بهذه الطريقة بضعة قراريط !!

بيد أن بلدة المضيق ، خليط من العرب أهل المنطقة الثانية ، ومن النوبيين الشماليين ، أهل المنطقة الأولى ، ولهذا تجد لغتهم خليط من العربية و (الرطانة) النوبية ، وكذلك بلدة كرسكو على هذا الوضع لوقوعها بين المنطقة الثانية ، والمنطقة النوبية … منطقة أهل الجنوب ..

وأما المنطقة الثالثة فهى أحسن حظاً من هاتين المنطقتين ، وأرغد عيشاً ، وأكثر ثراء وغنى ، وهى أربع عشرة محطة : أبو حنضل ، الديوان ، الدر ، توماس ، قتة ، إبريم ، عنيبة ، الجنينة ، مصمص ، توشكى ، أرمنا ، أبو سمبل ، بلانه ، أدندان .

وفى كل من توماس ، وعنيبة ، وبلانة ، مشروع للرى ، إلا أن بلانة أخصب بلاد النوبة ، وأنضرها زراعة ، وأوفرها محصولا ، وأسبقها فى ميدان التقدم الزراعى الذى ينتظر هذه البلاد ، بجانب التقدم الصناعى الذى سيجرفها جرفاً إن شاء الله ، ضمن ما يجرف من بلاد القطر ، الغنية بالمعادن الدفينة ، والثراء المقبور !!

ولكل منطقة من هذه المناطق الثلاث ، اسم خاص بها ، فالمنطقة الأولى منطقة (الكنوز) أو منطقة (نوبيى الشمال) . والمنطقة الثانية منطقة وادى العرب . والثالثة منطقة (نوبيى الجنوب) .

ولكل منطقة من هذه المناطق كذلك عادات وتقاليد خاصة تغاير تمام المغايرة المنطقة الأخرى ، وهذا مما يجب أن يدخل إلى حد كبير فى حساب الباحث ، إذ أن واحداً من الكنوزيين ، أو أهل الشمال ، لو أراد أن يكلم آخر من نوبيى الجنوب ، فإن أحدهما لن يفهم شيئاً مما يقول صاحبه ، فلكل لهجة خاصة ، أو ما يسمونه (رطانة) …

ولن يحاول ساكن المنطقة الثانية — منطقة العرب — أن يفهم من أحدهما شيئاً ، لأنه لا يعرف شيئاً من (الرطانة) وإنما هو يتكلم اللغة العربية التى دخلها قليل من اللحن والتحريف وإن كان يحتفظ باللهجة الجيلة ، ذات الجرس الموسيقى البديع !

غير أن اللغة العربية تجمع بين هؤلاء الإخوة جميعاً ، ولكنها عربية غير سليمة بطبيعة الحال ، وكثير من الصبية والصغار لا يعرفون العربية ، ولا يرضون بالرطانة بديلا ، وكذلك أكثر

الغزل فى شعر المرأة ...

للشيخ محمد رجب البيومى

— ١ —

من الأدب النسوى :

شعر المرأة فى مجموعه قليل ضئيل فأنت تجد الموسوعات الأدبية تزخر بأشعار الرجال فى شتى المواضيع ، دون أن تطالع للمرأة غير البيتين أو الثلاثة فى الفصل الطويل ، ولا يرجع ذلك إلى غبن أو تقصير فى جنب المرأة كما قد يتوهم فريق من الناس ، بل لأن المؤلف يحرص على أن يختار لقرائه أنفس ما وقعت عليه عينه من رائع الشعر ، وبديع القول ، والمرأة وإن أجادت فى كثير من الأغراض فالرجل بلا شك أكثرمنها إجادة ، وأكمل توفيقاً ، فالمؤلف إذن معذور مشكور ...

النسوة اللاتى لم يغادرن بلادهن ، إلى مختلف بلاد القطر . فهؤلاء لا يتكلمن بالعربية على الإطلاق ، لأنهن لا يكدن يعرفن عنها شيئاً أكثر مما يعرف عنها أهل القطبين !!

ومن العجيب أن التنافس شديد فى العلم والمعرفة ، والرقى إلى المناصب السامية ، والتخلص من ربقة الماضى الأليم — بين أهل الشمال وأهل الجنوب من النوبيين فحسب ، أو بالحرى بين المنطقة الأولى والمنطقة الثالثة ، ويظهر ذلك جلياً بين تلاميذ مدرسة عنيبة ، فى بدء العام الدراسى عند الدخول أو الالتحاق بالمدرسة ، ثم يزداد وضوحاً فى حجرات الدراسة مما يشحذ الهمم ويلهب القرائح ، ويدعو إلى التفوق والنهوض ..

ويلاحظ أن تلاميذ المدرسة من أهل الشمال ، أكبر سناً من تلاميذها من أهل الجنوب ، وربما يكون مرجع هذا إلى أن قرب المدرسة من أهل الجنوب يساعدهم على الالتحاق بها فى سن صغيرة .

كما تبدو هذه المنافسة بين الكبار فى شتى النواحى ، ومختلف مظاهر الحياة ، مما قد نعرض له فى سياق الأحاديث .

عبد الحفيظ أبو السعود

٢٩ . ٣٢

والغزل بنوع خاص لم يظفر بنصيبه الذى يستحقه من المرأة بل كان عنصراً عزيز المنال ، قد قامت دونه العوائق ، وتكاثفت أمامه السدود ، وذلك طبيعى للغاية إذا نظرنا إلى البيئة الشرقية التى ترعرعت فيها الفتاة العربية ، وعلمنا أن من الواجب الأكيد على الشاعرة أن تقف إزاء عواطفها القلبية صامتة مفحمة مهما اهتاج صدرها بالشوق ، واستعر فؤادها بالحنين ، وإلا فنحن نرى من الفتيات من نظمن القلائد البديعة فى مختلف أغراض الشعر ما عدا الغزل ، فقد أمسكت حواء عنه ، ولم تحلق بجناحها الشاعر فى أجوائه الفسيحة . فهل كان ذلك عن عىّ أو قصور؟! أو أن الرقابة القاسية من الأهل قد أخرست الألسنة الشادية ، وألجمت الطيور الصادحة ، رغم ما نعرفه فى المرأة من شعور دافق وإحساس مشبوب ...

ونحن نعلم جيداً أن بثينة صاحبة جميل ، وأميمة فاتنة ابن الدمينة ، وليلى معبودة قيس ، قد كن شاعرات مجيدات ، فليت شعرى أين ما نظمنه من الغزل الرقيق ؟ مع ما يعترف به التاريخ من تفانيهن فى العشق ، وجنونهن فى الحب ، اللهم إلا أن تجد لكل واحدة مقطوعة ضئيلة لا تتناسب مع ما يتأجج فى صدرها من لهيب !

وإذا كان ابن الأيك يجنح إلى الترنم فى خلسة مواتية مهما نصبت حوله الشباك الوثيقة ، وقامت فى وجهه الموانع المتزاحمة فإن الأسفار الأدبية قد حفظت لنا جمرات مشبوبة من غزل المرأة الرائق وهى — على قلتها — تعطيك فكرة تامة عن القيمة العقلية للمرأة ، وتوقفك على كثير من الانفعالات النفسية التى تكابدها الفتاة إذا احترقت فى سعير الغرام

والواقع أن المرأة لم تلج باب الغزل صريحة سافرة بل تلثمت بكل ما ملكته من براقع وخمور ، فكان غزلها فى الغالب تلميحاً يهديك إلى الطريق ويجعلك تسير فيه وحدك دون أن يرافقك فى خطواتك ، وقد تجد من يسلها الوجد رشادها الناصح ، فتنطلق بما يجيش فى صدرها واضحاً سافراً دون أن تتلثم بلثام واحد دلها من شعورها الدافق ، وغرامها المتقد ما يبرر لها الغزل والتشبيب

وصاحبة التلميح أريبة ذكية تعرف من أين تؤكل الكتف فقد استغلت عنصر الحنين إلى الوطن أتم استغلال ، اعتمدت

عليه فى التنفيث عن صدرها ، والتعبير عن خوالجها ، لما تعلمه من الصلة الوثيقة بينه وبين الغزل ، وهى بذلك قد أخمدت الفتنة الثائرة ، وأغمضت العيون المتنمرة ، ثم — هى فى الوقت نفسه — قد أفهمت حبيبها كل شيء . فأدرك من حنينها الدائب ما يتقد فى أحشائها من شوق . وهـذا فى الواقع مطلب عزيز ، تبذل العاشقة جهدها الجاهد فى تحصيله ، فلا تصل إليه من أقرب طريق ؟ ؟

ونحن نعلم عاشـقات مدنفات قد اشتهر فى الملأ شوقهن العارم ، فما احتمله قريب أو صديق . بل عمد كل والد إلى فتاته فحملها إلى وطن غريب ، وعقد قرانها فى بلد نازح ، وهنا توسل النائية حنينها إلى مسارح الصبا وملاعب الشباب ، وأنت حين تقرأه لا تجده غير غزل مقنع قد أهدى إلى الحبيب الأول ففهم منه كل شيء ، ولك أن تعتبر من هذا النوع قول القائلة :

ألا أيها الركب اليمانون عرّجوا ... علينا فقد أضحى هوانا يمانيا
نسائلكم هل سال نعمان بعدنا ... وحب إلينا بطن نعمان واديا
فيا بـ به ظلا ظليلا ومورداً ... به نقع القلب الذى كان صاديا

فهـل صحيح أن الشاعرة تقصـد ماء نعمان ، وظله الظليل ومورده الرائق ؟ ! لو كان ذلك وحده ما أحسست بهذه الحسرة المتأججة ، واللهفة المشـتعلة ، وما اهتدت الشاعرة إلى قولها الرائع « به نقع (القلب) الذى كان صاديا ! »

ونظائر هذه الأبيات لا تندرج تحت حصر ، وهى تدلنا على فطنـة المرأة ، وذكائها اللماح ، وتؤكد لنا أن الحب كالزهرة الناضرة ، لابد أن يعبق أريجها فى كل مكان تحل به وهل كان الحنين غير عبير فائح ينعش الأفئدة ويبهج النفوس ؟!

وكثيراً ما تفر المرأة من الحنين إلى الـكناية والرمز ، وهى فى ذلك تقتدى بالرجل فتسير وراءه خطوة خطوة ، ولـكن أى رجل تتبع ؟ ؟ إنها تعمـد إلى شاعر سـدت أمامه المسالك ، وصلصلت فى كفه القيود ، فتتجه معه فى اتجاهه ، ما دامت ظروفه القاسية كملابساتها المنيدة ، وإذا كانت المرأة تعتقد فى قرارة نفسها أن الرجل أحزم منها وأعقل ، فإنها تسلك طريقه مطمئنة إلى السـلامة واثقة بالنجاة ...

ولعل أصدق مثال نقدمه للقارىء ، هو حميد بن ثور الهلالى فقد كان ممن برح بهم العشق فأرسل قصائده الغزلية سافرة عارية ولـكن الحاكم يقف فى وجهه منذراً مهدداً ، فيمنعه من التغريد الساحر ، وهنا يلجـأ الشاعر إلى الـكناية المقبولة فيتنزل فى السرحة مطنباً فى محاسنها الفاتنة ، ولعمرى لقد وفق فى اختياره فالسرحة ذات منظر جذاب ، وثمر شهى ، ونسيم منعش مريح وكل ذلك مما يذكر العاشق المدنف بمعبودته فيتمثلها أمام عينه إذ يقول :

أيا طيب رياها ويا حسن طعمها ... إذا حان من شمس النهار شروق
وهل أنا إن عللت نفسى بسرحة ... من السرح مسدود على طريق

ومهما يكن من شيء فقـد نفث الشاعر عن صبره . ولم يجعـل لأحد سلطاناً عليه ، ثم هو قد فتح الباب على مصراعيه لعلية بنت المهدى شقيقة الرشيد . فقد علقت غلاماً لها يسمى طلا ونظمت فيه من الرقائق الأنيقة ما هو جدير بأمثالها من المثقفات الناعمات ، ولـكن هرون يقف أمامها وقفة تحدى بها الفن تحديا سافراً ، فلجأت إلى التنزل فى السرحة مقتدية بحميد إذ تقول

أيا سرحة البستان طال تشوق ... وما لى إلى ظل لديك سبيل

ثم تطنب فى وصفها الساحر فتجلس على ناصية الإبداع والافتنان وذلك منها غير كثير ...

وفى رأيى أن هـذه الحيطة جيلة مقبولة تسير مع الأخلاق النبيلة فى مهيع واحد ، وإن كان من الشاعرات السـذج من تبالغ فى الحذر والحيطة ، فتعلن لك أنها تتقى الله عز وجل وتأتمر بأمر العفاف ، ثم تعتقد أنها قد أمنت بذلك ما عسى أن يوجه إليها من ملامة أو نقـد ، فتصرح بما يثير حولها الشـكوك ، ويجعلها مضغة ملوكة فى الأفواه ، ودونك قول أم ضيغم البلوية

وبتنا خلاف الحى لا نحن منهمو ... ولا نحن بالأعـداء مختلطان
وبتنا يقينا ساقط البرد والندى ... من الليل بردا يمنـة عطران
نذود بذكر الله عنا من الصبا ... إذا كان قلبانا بنا يجفان
ونصدر عن أمر العفاف وربما ... نقعنا غليل القلب بالرشـفان

وأنا لا أدرى ماذا يفيدها ذكر الله بعـد أن نقعت غليل القلب بالرشفان ؟ وماذا يغنى العفاف بعـد أن باتا فى مكان قاص خلاف الحى ؟ ، اللهم إن هذا احتراس أدى إلى افتضاح ولـكن فيه رائحة الطمأنينة على كل حال ...

ومن العاشقات من تصرح للمـلأ بتقوى الله عز وجل واستحياء بعض المواقب ، ولـكنها تعتصم بالعقل فلا تتورط

فيما تورطت فيه أم ضيغم ، بل تسير فى سبيلها المملوء بالشوك بيقظة محاذرة ، تتجنب المواثق ، وتتجافى عن المزالق حتى تنتهى من المسير بسلام ، والتفت معى إلى عاتكة المرية إذ تقول :

وما طعم ماء أى ماء تقوله ... تحدر من غر طوال الذوائب
بمنعرج من بطن واد تقابلت ... عليه رياح الصيف من كل جانب
نفى جرية الماء القذى عن متونه ... فما إن به عيب يتاح لشارب
بأطيب ممن يقصر الطرف دونه ... تقى الله واستحياء بعض العواقب

ثم صارحنى رأيك هل لاحظت عليها تورطاً وانزلاقاً كأم ضيغم أو وجدت فى قولها ما تشم منها رائحة الريب الآثم ، الحق أنها كانت لبقة ماهرة فيما نظمته ، وأنا لا أدرى لماذا تذكرنى أبياتها بأبيات أخرى تتفق معها فى الطريقة ، وتخالفها فى التفكير .

ونحن لا يهمنا أن يكون الإطار من نوع مألوف بل نحرص على أن تكون الصورة جديدة والريشة بارعة كما جاء فى قول ضاحية الهلالية :

وما وجد مسجون بصنعاء عضه ... بساقيه من صنع القيون كبول
قليل الموالى مستهام مروع ... له بعد نومات العشى عويل
يقول له السجان أنت معذب ... غداة غد أو مسلم فقتيل
بأكثر منى لوعة يوم راعنى ... فراق حبيب ما إليه سبيل

فأنت ترى أن الطريقة الأولى هى الطريقة الثانية ولكن معنى عاتكه مكرر معاد[1] أما أبيات ضاحية فذات تصوير مبتكر وأنت لا تستطيع أن ترجع بها إلى قائل متقدم ، مهما أتعبت نفسك فى التنقيب ، ثم هى تصور لك جزع المرأة من السجون ورهبتها من القيود ، وليت شعرى إذا لم نلمس إحساس المرأة من شعرها الناطق فمن أى نبع دافق نستقيه ؟ أما قوة النسج فبارزة بوضوح فى كلتا المقطوعتين

(يتبع) **محمد رجب البيومى**

---

(١) لا تكاد الصورة الوصفية للماء فى قول عاتكه تخرج عن قول كعب بن زهير

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت ... كأنه منهل بالراح معلول
شجت بذى شبم من ماء محنية ... صاف بأبطح أضحى وهو مشمول
تنفى الرياح القذى عنه وأفرطه ... من صوب سارية بيض يعاليل

صور

(هى من وحيها وفيض هواها)

للأستاذ أنور العطار

أنت دائى ما أنكرتك الجروح   لا ولا عقك الفؤاد الذبيح
طائف منك مر بالقلب هيما   ن ، فجن الهوى وضجت قروح
وتعلمت منك كيف أنوح

أنت وهم حلو يلذ ويغرى   أنت كالخمر فى الأضالع تسرى
أنت سر الهوى تغنى بك القلـ   ـب ، وشعر أربى على كل شعر
وصلاة تروق قلبى وفكرى

أنت دوح يموج بالأطياب   فتنة العين مطمح الآراب
يتغنى بك المشـــوق المعنى   ويناجيك بالأمانى العذاب
وأغاريد قلـــبى المطراب

أنت طيف الهوى وأنغام حبى   ونصيرى على اغتمامى وكربى
وسميرى فى وحدتى واعتزالى   وأليفى إذا تبـــدد صحبى
أنت راحى وأنت ريحان قلبى

أنت لحن جم النغائم بكر   ملؤه روعة وسحر وشعر
وسراب إذا تلفت أبغيـ   ـه انثنى ضائماً وولى يفر
واعترانى عليه حزن وذعر

صور يغمر العيون سناها   وأمانى لا يحد مداها
نغمات تظل تعزف فى النفـ   ـس ، ويبقى على الليالى صداها
هى من وحيها وفيض هواها

فلسطين رمز جهاد العرب

للأستاذ ابراهيم الوائلى

فلسطين لا زعزعتك الخطوب   ولا أرهقتك ثقال النوب
ولا أوهنتك عوادى الزمان   إذا ما دجا أفقها واضطرب
ولا فل عزمك طول الكفاح   فإنك رمز جهاد العرب
وقفت ومثلك لا يستكين   مناضـــلة حين جد الطلب
وأزمعت ألا ترى غاصباً   يجوس لديك خلال الرحب
ولا طامعاً أشـــعبى الرجاء   يظن بأن سينال الأرب
وكيف يكون — وفيك الأسود   غضاباً وواديك واد أشب
وخلفك جيش يخوض الدماء   ويسبح فى موجها المصطخب
ودنيا سواء لديها النسيم   ندى الذيول ، وحر اللهب

* * *

فلسطين ما كنت مأوى الدخيل   ولا طعمة الشره المغتصب !
ولست ملاذ الشريد الذليل   ولا مسرح اللاجىء المغترب !
غزاك من النفر الصاغرين   طريدون لم يجدوا مضطرب
عصائب قد أمعنوا بالنفاق   ونفث السموم وبث الريب
أرادوك ملجأ شـــذاذهم   على غير ما صلة أو سبب

* * *

فلسطين أين دماء الشباب   تذوب على سفحك المختضب ؟
وأين الرؤوس تقود النضال   وتسحق من كبرياء الذنب ؟
ومالك والدم يجرى بها   سجل يفاخر حتى الشهب
وتاريخك الناصع المستفيض   يطاول من قال أو من كتب
طويت السنين ثقال الخطى   وما كان حظك غير الوصب
وقمت بما يقتضيه الفخـــار   فإما الممات وإما الغلب
وما قدر حى يحب البقاء   ودنيـــاه حافلة بالسغب

* * *

فلسطين يا صرخة الثائرين   على الظلم حين طغى واستتب
ويا غضبة رددتها العصور   لتعلم صهيون كيف الغضب
حملت اللواء على منكبيك   خضيباً وقلت : حذار الهرب
وكنت الدؤوب وهل فائز   بنيل الحقوق سوى من دأب
جهادك لحن بثغر الخلود   يرن صداه وراء الحقب
ودنيـــاك محمرة الجانبين   من الدم كالشفق الملتهب

* * *

فلسطين جرحك ملء القلوب   وذكراك ماثلة عن كثب
فزعن لصوتك إذ تصرخين   وما هان أن تتعالى الندب
فنحن سواء بحمل الخطوب   ويجمعنا حولهن النسب ...
جراح ولكنها فى الصميم   وداء ولكنه فى العصب
فساس على غير ما نبتغى   وندعو ولكن بمن لم يجب
ونزجى العتاب وهل نافع   مع المستبد سلاح العتب ؟

وكم ذا تعللنا بالوفاء ... عهود مبطنة بالكذب ؟
فشأن السياسة نهب الشعوب ... ونفى الجريمة عمن نهب

***

يقولون : فى الكون حرية ... وفجر تألق خلف الحجب !
وحرب أثيرت لنشر السلام ... وذاك هو الأمل المرتقب
وما السلم إلا خيال بطوف ... وحلم تباعد ثم اقترب ...
وقد سخروا «الذر» حتى استجاب
وذل لهم كل ما قد صعب
ولو صدقوا بالذى يدعون ... لما بقيت جذوة فى الحطب !

***

أفيقوا دعاة الخصام البغيض ... ولا تبعثوا كامنات الريب
فللعرب موطن آبائهم ... وللسامريين عجل الذهب

ديوان شعر (*)

للاستاذ بدر شاكر السياب

« إلى اللائى استعرن منى ديوانى ليقرأنه فبات متنقلا ما بينهن ، ونال من عطفهن ما حرمته . . . أقدم هذه القصيدة »

دوان شعر ، ملؤه غزل ... بين العذارى بات ينتقل
أنفاسى الحرى تهيم على ... صفحاته ؛ والحب والأمل
وستلتقى أنفاسهن بها ... وتحوم فى جنباته القبل
دوان شعر ، ملؤه غزل ... بين العذارى بات ينتقل . .

***

لما يعين (1) النوح والشكوى ... كل تقولى : من التى يهوى ؟
وسترتمى نظراتهن على الـ ... صفحات بين سطوره نشوى
ولسوف ترنح النهود أسى ... ويثيرها ما فيه من بلوى
ولربما قرأته فاتنتى ... فمضت تقول : من التى يهوى؟

***

سيرين ما لاقيت فى حبى ... فيصحن : يا للعاشق الصب . !
ولقد تسيل دموعهن على ... جنباته ، موصولة السكب
يا ليت قلبى من قصائده ... لترى الحسان الغيد ما قلبى
سيرين ما لاقيت فى حبى ... فيصحن : يا للعاشق الصب . .

***

دوان شعرى . . رب عذراء ... أذكرتها بحبيبها النائى
فتحسست شفة مقبلة ... وشتيت أنفاس وأصداء
فطوتك فوق نهودها بيد ... واسترسلت فى شبه إغفاء
دوان شعرى . . رب عذراء ... أذكرتها بحبيبها النائى

***

يا ليتنى أصبحت دوانى ، ... أختال من صدر إلى ثان . .
قد بت من حسد أقول له : ... يا ليت من تهواك تهوانى !
ألك الكؤوس ولى ثمالتها ... ولك الخلود وإننى فان ؟
يا ليتنى أصبحت دوانى ، ... أختال من صدر إلى ثان

***

كم غادة شاهدت تخدعها ... ومضيت تسهر ليلها معها !
قد هزها شوق لمتسف ... أمسى هواه يسيل أدمعها
فمضت تذيع إليك قصتها ... وتبث ما فى أضلعها . .
كم غادة شاهدت تخدعها ... ومضيت تسهر ليلها معها !

***

ستعيش بين النور والعطر ... وتفر من صدر إلى صدر
فترى الثغور تميد ، هامسة ، ... ما فيك من فتن ومن سحر
والنهد يرى الظل فيك على ... روض الخيال ومرقص الشعر
ستعيش بين النور والعطر ... وتفر من صدر إلى صدر

***

يسمعن فيك أغانى الريف ... مترنماً بحنانه الهيف . . .
الماء يشكو للجرار هوى ... والنخل فى صمت وتمزيف
والليل والأنسام عاطرة ... والزورق الخفاق المجاديف
تلقى مسامعها إلى الريف ... يشكو غرام حنانه الهيف

***

ستبيت فى نوح وتسهيد ... وتبيت تحت وسائد الغيد
أو لست منى ؟ إننى نكد ... ما بال حظك غير منكود ؟
زاحمت قلبى فى محبته ... وخرجت منها غير معمود
ألبيت فى نوح وتسهيد ... وتبيت تحت وسائد الغيد ؟

***

دوان شعر ، ملؤه غزل ... بين العذارى بات ينتقل
أنفاسى الحرى تهيم على ... صفحاته ، والحب والأمل
وستلتقى أنفاسهن بها ... وتحوم فى جنباته القبل
دوان شعر ملؤه غزل ... بين العذارى بات ينتقل

(*) من ديوان (أزهار ذابلة) الذى سيتم طبعه قريباً .
(1) من وعى يعى



هكذا تكون الشرطة !..

يا سيدى ! بالباب عسكرى يقول إنه يريد أن يسلمك محضراً !

بهذا النبأ المزعج دخل علىّ الخادم فى نحو الساعة الثامنة من مساء ليلة قريبة وأنا جالس إلى مكتبى أفتش فى المراجع دون أن أقع على طلبتى حتى ضاق صدرى ، فلم يسر عنى ما بى إلا هذا النبأ البهيج ! ووثبت من فورى أتلق البشرى ، فلقد والله زادنى الخادم غيظاً على غيظى بابتسامته البلهاء التى شفع بها هذا الخبر الأسود كما لو أنه جاء ليبشرنى بما تنبسط له نفسى !

ومشيت وأنا أسأل الخادم ، أو على الأصح أصيح به محنقاً — فقد خيّلت إلىّ أعصابى المكدودة أنه يشمت بى إذ يبتسم أو يظن بى خوفاً — أى محضر ؟ ولم أخرج من دارى نهارى كله ولا أذكر أنى فعلت بالأمس ولا قبل الأمس شيئاً يستوجب المحضر ، ولا أنا – ولله الحمد – ذو سيارة حتى أدوس بها أحداً أو أخالف بها نظام المرور ، ولست ممن يعودون إلى دورهم بعد منتصف الليل ... ولا ... ولا ...

ومضيت إلى الباب الخارجى فما راعنى إلا عُتلّ أبرز ما فيه شارباه وأنفه وطول قامته ، حتى لقد ذكرنى ذلك العملاق بتلك الصور الكاريكاتورية التى ترسمها بعض المجلات لبنى جنسه ، وأشهد والله بعد رؤيته ما فيها شىء مما كنت أظنه من مبالغة !

— ما ذا تريد يا شاويش ؟ وليصدقنى القارئ أنى أتأدب حتى فى خطاب من يسلمنى محضراً

— مى محضر يا أفندى من فضلك وقع عليه بالاستلام !

— ان هذا المحضر ؟

— لا أعرف

— ما موضوعه ؟

— لا أعرف

هذه والله — فى غير تحريف — إجابة الشاويش الهمام لم أصنع بها شيئاً إلا أنى عرّبتها ! وحبست ضحكى تأدباً علم الله وبنفسى أن أقهقه لولا أنى لا أحب أن أسىء حتى إلى مثل هذا المثل وقلت : إذا كنت لا تعرف صاحب المحضر ولا موضوع المحضر ... فلم اخترت هذا البيت بالذات ؟

— قالوا عند المزلقان ...

ومددت يدى أتناول الورق منه ، فدفعه إلىّ بعد تردد وحذر ؛ وألقيت نظرة فإذا هو لفلان فى بيته المرقوم بكيت ويقع كذلك عند مزلقان وهو بشأن سيارة لم يعننى أن أعرف موضوعها ؛ وتبسمت وقلت للشرطى ليس المحضر لنا ، ورحت أصف له موضع البيت المقصود ، وأذكر له اسم الشخص المطلوب ، وحسبت أنه سوف يحمد لى هذا الإرشاد ؛ ولكنى نظرت فإذا به يداعب شاربه ويرمينى بنظرة اشتركت فيها عيناه وأنفه وغلظه وجهله ، وإنه ليبتسم ابتسامة أسمج من هيكله ، وكأنما يريد أن يذكرنى أنه من رجال البوليس ، وهل يضحك أحد أو يمكر برجال البوليس ثم قال : وقع على الورق يا أفندم ... ما فيش لزوم للزوغان !

ورأيت أنى أكون أجهل منه لو ناقشته بعد ذلك ، فهممت أن أوقع لمجرد التخلص منه ، وليفهمه رؤساؤه بعد ذلك خطأه ، ولكنى عدت أؤكد له أنى لست الشخص المطلوب ، وهو ينظر إلىّ ويصب علىّ سماجته كلها ، حتى ضقت به فقلت لن أوقع ، وإذا ذاك تراجع وطلب إلىّ أن أدله على البيت المكتوب فى الورق ... فتنفست الصعداء وقلت :

— أتعرف بيت محمد باشا محمود ؟

— محمد باشا محمود ؟ ومين محمد باشا محمود ده ؟ ومين يا أفندم اللى يعرفنى بالكلام ده ؟ !

وجذبته من ذراعه وسرت معه خطوات حتى وقفت به فى الشارع المجاور ، وهو شارع الفلكى ، وقلت له : أنت الآن تتجه « بحرى » فأين يدك اليسرى ؟ ومد إلىّ يده اليسرى فى سذاجة ، فقلت : تظل ماشياً فى هذا الشارع إلى أن تجد بيتاً كبيراً يقف ببابه ، ويقع عن شمالك ، عسكرى مثلك ، فاسأله أين البيت المطلوب ... وانطلق العملاق يتمتم بكلمات ولعله كان يستنزل لعنة الله على من كلفوه ما لا يطيق ؛ وعدت إلى مكتبى وضاجعى وأنا أقول لنفسى : هذا وأمثاله هم حفظة الأمن والنظام ، وهذا وأمثاله من يستلم المرء محضراً حقاً إذا انتهرهم أو ضاق بهم فدفعهم من طريقه أو من مدخل داره ... هذا وأمثاله وليسوا بالقليلين هم شرطتنا ... ألا متى يفهم القائمون بالأمر ، حفظة الأمن الكبار ، حفظهم الله ، أن تغيير هذا الصنف كله بات من أوجب الواجبات ؟

الخفيف

تعقيبات

الأصدقاء والأعداء :

نشرت الجريدة الرسمية للحكومة البلجيكية قانون جمعية تألفت أخيراً باسم « جمعية الصداقة المصرية البلجيكية » ، وقالت إن غرض هذه الجمعية « توثيق الروابط الثقافية والاقتصادية بين مصر وبلجيكا » ، وذكرت أن من أعضائها « أحمد صديق باشا ، وعزيز أباظه باشا ، والمسيو هنرى أردن مدير شركة ترام القاهرة ، وحضرة سكرتير المفوضية المصرية ببروكسل » ... إلى آخر من ذكرت من ذلك الخليط ..

ومنذ أيام قليلة كانت لنا قضية أمام مجلس الأمن ، هي قضية الحياة والحرية والكرامة ، ووقفنا في المجال الدولى نتبين العدو من الصديق ونفتش عن أولئك الذين عاشوا طول الزمن يغترفون من فيض الكرم المصرى ويقتاتون بدم الشعب الطيب الوديع ، فهالنا أن نرى « بلجيكا » في صف الأعداء ، تأبى علينا الحياة والحرية والكرامة ، وتعلن على مطالبنا حرباً شعواء في غير خجل ولا حياء ، وهي التي تكسب من مال مصر كل عام ما يقدر بنصف دخلها أو يزيد .

في الشدة عرفنا العدو من الصديق ، وأصبح من الواضح أين نتوجه بعواطفنا وإلى من نبذل صداقتنا ، وبالأمس حمدنا لأديب مصرى أن ألقى بوسام فرنسى من صدره إنكاراً لدولة أنكرت علينا حقوقنا ، ولكن يظهر أن عندنا جماعة من محترفى « الصداقات » وهم في هذا السبيل لا يبالون مصريتهم ولا يراعون عواطف الشعب الذى ينحدرون منه وينتسبون إليه !

يقول الفلاحون عندنا في أمثالهم : « ليس بعد حرق الزرع جيرة » ، فماذا يكون بيننا وبين بلجيكا من الروابط « الثقافية والاقتصادية » ولماذا نحرص على تقوية هذه الروابط بعد الذى كان من موقف تلك الدولة تجاه قضيتنا ، وتجاه حريتنا ، وبعد أن كفرت بأفضال مصر واستخفت بكرم المصريين وكرامتهم ؟؟

كلا أيها السادة ، إن الكرامة المصرية أصبحت لا تحتمل هذا التهافت ولا تطيق تلك « الصداقات الرخيصة » التى تجلب لأصحابها ما تجلب من « الأسهم والسندات » ولكن على حساب الأمة المسكينة والشعب المنكوب !!

لازاريت .. والأزهر :

أذكرنى الكلام الذى يجرى الآن عن الحجر الصحى ووقاية البلاد من الأمراض الوافدة بكلمة لها صلة بهذا الموضوع .

ذلك أن جمهورية « فينسيا » كانت أول دولة أقامت محجراً صحياً ببلادها عام ١٤٠٣ م وأسمته « لازاريت » ، ثم كان أن أخذت الدول الأوروبية عنها هذا النظام .

ولما هجمت « الكوليرا » على مصر عام ١٨٣١ م كان الوالى على مصر محمد على باشا ، فأمر ذلك المصلح الكبير بإدخال نظام « الكورنتينة » في مصر ، فجمع قناصل الدول وألف من بينهم لجنة لوضع النظام الخاص بهذا الغرض ، وفي عام ١٨٣٢ م بنى أول محجر صحى في الشاطئ بالأسكندرية ، وعرف هذا المكان باسم « مزريطه » أو « الأظاريطه » نسبة إلى كلمة « لازاريت » التى أطلقت على أول محجر صحى أنشأته جمهورية « فينسيا » ..

ويقول «لاروس» في معجمه الكبير — مادة لازاريت — « إن بعض الأفرنج يرون أن كلمة لازاريت مأخوذة من كلمة الأزهرية لأن الأزهر في مصر ملجأ للعميان والشيوخ المتقاعدين»

ولست أدرى هل هذا هو مبلغ العلم عند هؤلاء الأفرنج ، أم هي روح التعصب والشنآن لا تفارقهم حتى في التحقيق العلمى ، فإن كلمة « لازاريت » معروفة الأصل واضحة النسب ، فهي كلمة لاتينية معناها « المجذوم » ، وقد كانت الدولة الرومانية تبالغ كثيراً في الحجر على المجذومين ، وكان عقاب المجذوم الذى يخرج من نطاق الحجر هو القتل السريع ، وكان أن أطلقت هذه الكلمة على نظام الحجر الصحى الذى أخذت به الأمم فيما بعد ..

على مبارك باشا :

أشار الدكتور زكى مبارك في مقال له بالبلاغ إشارة عابرة إلى على مبارك باشا فقال : « والحقيقة أن على مبارك باشا من مديرية الشرقية ... وقد كان عظيما ، والذى يعرف تاريخه هو

الدكتور ابراهيم سلامه ، فقد نال بالحديث عن مذاهبه التعليمية إجازة الدكتوراه من باريس ... » .

وأنا رجل شرقاوى ، وكان يهمنى أن يكون ذلك الرجل العظيم من مفاخر إقليمى ، ولكن الحقيقة أنه من الدقهلية ، وقد قرر هو هذه الحقيقة فى الترجمة التى كتبها لنفسه فى الخطط التوفيقية فقال : « إن قرية برنبال الجديدة هى مسقط رأسى ، وبها نشأت ، وكانت ولادتى سنة ١٢٢٩ هـ كما أخبرنى بذلك أبى وأخى الأكبر ، وأصل جدنا الأعلى من ناحية الكوم والخليج وهى قرية على بحر طناح .. » ، ومن المعروف أن قرية برنبال الجديدة تقع على البحر الصغير تجاه كفر علام بمديرية الدقهلية ..

ومما يذكر بهذه المناسبة أن على باشا مبارك فر من قريته وهو صغير فأصيب بالكوليرا وسقط فى الطريق ، وكانت فاشية فى مصر يومذاك ، فحمله أحد الفلاحين إلى منزله وتولى علاجه والعناية به ، وقد كتب الله له السلامة من ذلك الوباء اللعين ...

وهناك مسألة يجب أن يتدبرها الذين يكتبون عن على مبارك باشا ، ويدرسون آثاره ويحكمون عليها ، وهى أنه رحمه الله كان يصنع فى مؤلفاته صنيع السيوطى من قبل ، فكان يعتمد إلى حد بعيد على تلاميذه ومريديه وأصدقائه فى وزارة المعارف ، ويقولون إن للمغفور له عبد الله فكرى باشا جهداً فى « الخطط التوفيقية » ، وقد استطاع على مبارك باشا بهذه الطريقة أن يؤلف كثيراً حتى فى الموضوعات التى لم تكن لها صلة بثقافته ، وإن الكشف عن هذه الحقيقة ليجعلنا نتدبر كثيراً فى الحكم على مؤلفات ذلك الرجل العظيم وما خلف من آراء وآثار .

هذه كلمة عابرة فى الرد على إشارة عابرة ولعل الوقت يسمح لى بالكتابة عن ذلك الرجل فقد جمعت عنه من المعلومات الشىء الكثير ...

إمارة الشعر :

لمناسبة ذكرى المغفور له شوقى بك عاد إخواننا الصحفيون يتحدثون عن إمارة الشعر ، وفتحت مجلة « الهلال » فى عددها الأخير باب الاستفتاء لقرائها فيمن هو أجدر بلقب الأمارة الآن ؟

وكأنى بأخواننا هؤلاء يحسبون أن إمارة الشعر يمكن أن تفتعل افتعالا وتقترح اقتراحاً وأنه لابد للشعراء من أمير كما للصحفيين نقيب وللمحامين عميد وللعمال « كومانده » وللتجار « سر تجار » ...

وكأنى بأخواننا هؤلاء يحسبون أن شوقى صار أميراً للشعراء لأن فريقاً من أدباء العربية احتفلوا به لهذا الغرض ، ولأن حافظاً بايعه بالأمارة فى ذلك الحفل ، ولأن الصحف أخذت تخلع عليه هذا اللقب فى كل مناسبة ...

كلا أيها الإخوان ، إن شعر الشاعر وحده هو الذى يضمن له الأمارة ، ويضمن له الخلود على الزمن وهو مرتبة أكبر من كل إمارة وما هو فوق الأمارة ...

لقد كانت بدعة اقتضتها ظروف الحياة السياسية والاجتماعية فى مصر منذ نصف قرن ، فقد كان المصريون يرون أن الأتراك قد استأثروا دونهم بالألقاب الفخيمة والرتب العالية ، فكان من مطالبهم أن يكون لهم نصيبهم من هذا ، وكانت فى نفوسهم لهفة على أن تكون أسماؤهم مقرونة بالألقاب والنعوت الكبيرة ، وكان لهذه اللهفة صداها فى دولة الأدب ، ولما كان شوقى شاعر القصر فى تلك الأيام فقد درجت الصحف يومذاك على تلقيبه بشاعر الأمير ، ولما كان حافظ فى الجهة المقابلة له فقد لقبوه بشاعر النيل ، وهكذا شاعت الألقاب بين الشعراء والكتاب ، فلقبوا الخليل بشاعر القطرين ، واسماعيل صبرى بأستاذ الشعراء أو بشيخ الشعراء ، وعبد المطلب بشاعر العروبة والبداوة ، وولى الدين يكن بأمير الشعر والنثر ، وجاء صديقنا الأستاذ أحمد رامى فى عقاب ذلك ففاز من التركة « بشاعر الشباب » وهى الرتبة التى لا يزال يحملها إلى اليوم ... وكان المرحوم الشاعر أحمد نسيم لا يجد من يخلع عليه اللقب المناسب فكان يرسل بقصائده إلى الصحف بعد أن يكتب لها مقدمة ثناء طويلة يخلع فيها على نفسه ما شاء من ألقاب ، أقلها شاعر الوطن ... ولما مات شوقى وحافظ وقف يقول :

ولو شئت كانت لى زعامة شعرهم   وكنت لمن يأتم خير إمام
شوارد تزرى بالحطيئة هاجياً   وتعيى جريراً فى مديح هشام

ولكن عهد الحطيئة وجرير كان قد انقضى ...

وكانت فى نفس شوقى رحمه الله لهفة إلى نيل رتبة الباشوية ، كما كان المتنبى يتلهف على الفوز بالولاية ، ولكن الظروف لم تسعفه ، فقد أبعد الخديوى عن مصر ، وأبعد شوقى نفسه عن

الأدب والفن في أسبوع

أدب القوة :

سأل مندوب (المسامرات) الدكتور عبد الوهاب عزام بك عما ينصح به الشباب في ميدان الأدب لمواجهة نهضة مصر الحديثة ، فأجابه :

« أدعو الشباب إلى أدب القوة ، والقوة النفسية التي تسمو بالإنسان عن الدنايا وتدعو إلى الإقدام فيمضي في هذه الحياة مجاهداً يشق طريقه إلى غايته ، يذلل الصعاب ويقتحم العقبات . وأدعوهم إلى أدب النجدة والمواساة والإيثار الذي يحدوهم إلى العمل للجماعة وتأدية الواجب ، والاغتباط بفعل الخير دون ابتغاء منفعة أو جاه أو سمعة .

وأحذرهم من الأدب الضعيف الداعر الذي يسف بالنفس إلى الدنايا ، ويقعدها عن الجهاد ، ويخيفها من كل مشقة ويجنح بها إلى الدعة والعكوف على اللذة والإخلاد إلى البطالة والتسكع »

وهذا الذي أجاب به الدكتور عبد الوهاب عزام ، برنامج للأدب المنشود ، موجز في كلماته ، ولكنه واف في مراميه ؛ فهو يدعو إلى أدب القوة في هذا الوقت الذي اقتنع الجميع فيه بضرورة القوة للحصول على الحياة الحرة الكريمة ، وقد زأرت آساد العرب وتحركت نحو هذه الحياة في الطريق إلى فلسطين ، ولا شك أن الخيول العربية الآن في جميع أقطار العروبة تملك اللجم ويتحفز فرسانها للوثوب ، وغايتهم القضاء على الدخلاء في جميع البلاد العربية بادئين بالصهيونيين ...

وهنا أتخذ سمة الباحث في الأدب من حيث تفاعله مع الأحداث وروح العصر ، فأقول إن الأدب لابد أن يستمد من هذه الروح ويدفع تلك الحركات ، لأن وجدان الأمة العربية يزخر بمشاعر القوة والنجدة ، ووظيفة الأدب الأساسية أن يعبر عن الشعور ويستملي الوجدان .

ثم أتخذ سمة الباحث في الاجتماع فأقول إن الأمة تتكون من الأفراد ، فلكي تكون قوية يلزم أن يكون أفرادها أقوياء ؛ وقوة النفس هي أصل القوى ، لأنها ، كما قال الدكتور عزام ، تسمو بالإنسان عن الدنايا وتدعو إلى الإقدام واقتحام العقبات ، وتدعو إلى النجدة والإيثار والعمل للجماعة . والأدب يتفاعل مع كل هذا ، فيتأثر به ويؤثر فيه ، وبذلك يكون أدباً صادقاً .

والشباب مناط الآمال وذوو الأحاسيس المتوثبة والمشاعر الملتهبة ، فلا يصح أن تستنفد قواهم العواطف الخائرة ، فلا تبقى بها أثارة للقدرة على الكفاح للجماعة أو حتى للذات ، فيدفع هذا الضعف إلى الدعة والكسل أو محاولة الوصول عن طرق هينة وإن كانت غير لائقة .

النشيد القومي للعرب :

وبعد فهذه الجيوش العربية تزحف إلى فلسطين ، والآمال تسايرها ، والقلوب تخفق لها ، وإنك لتلمح بين سطور أنبائها في الصحف أبياتاً من الشعر يهتز لها فؤادك ، وإن كانت لا تزال شاردة لم يقيدها وزن ولا قافية .

فمن لهذا الشعر ينظمه نشيداً للوطن العربي العام ؟ نشيداً واحداً يتغنى به أولئك الأبطال الزاحفون في سيناء وفي صحراء العرب وبادية الشام وربى لبنان ، وينشده الناشئون في معاهدهم وملاعبهم ، ليقوى « عضلات » نفوسهم ، وينفي عنها « الترهل » فهيا فحول الشعر ، ضموا لنا ذلك النشيد .

مصر ، وتبدلت الأحوال والأوضاع ، وخيبا أمله في تلك الرتبة ، فأراد أن يعوض هذا على نفسه برتبة الأمارة في الشعر ، فكانت الصحف التي تنطق باسمه تخلع عليه هذا اللقب دائماً ، ثم كانت حفلة المبايعة المعروفة ، وكان شوقي شاعراً كبيراً حقاً فضمن لنفسه هذه الأمارة ، وضمن لنفسه الخلود وهو أكبر وأعظم من كل أمارة ...

إمارة الشعر بدعة انتهت بانتهاء ظروفها ... وليست هذه البدعة بالشيء المعروف في الأمم الأخرى ... ولم يكن هذا بالأمر المألوف بين شعراء العربية من قبل .. فلم يبايع أحد البحتري بأمارة الشعر ، ولم تقم له حفلة لذلك ، ولكنه كما يقولون أخمل بشعره سبعين شاعراً في عصره فلم يذكرهم ذاكر ..

« الجاحظ »

ذكرى شوقي في نادي الخريجين :

أكتب هذا يوم الثلاثاء الرابع عشر من شهر أكتوبر ، وهو اليوم الذى نعى فى مثله الشاعر الخالد أحمد شوقى بك،وكانت الليلة الماضية ليلة الذكرى ، لا فى (الأوبرج) فقد أعلن أن حفلته أجلت إلى أجل غير مسمى نظراً للظروف الصحية الحاضرة! بل كانت الذكرى فى شقة بالعمارة رقم ٢٨ بشارع شريف باشا ، حيث نادى الخريجين المصرى .

وكان حفلا صغيراً أقامه النادى فى خجل من عدم استطاعته التوسع فى البرنامج،ولكن تفرد هذا الحفل بمصر فى ليلة ذكرى شوقى أمير شعرائها ، وشعور هؤلاء الشبان الذين أقاموه بضآلة مجهودهم فى هذا المقام الجليل ، كل هذا يجعل لهذا الحفل معنى جليلا هو معنى الوفاء الذى لا يغض منه جهد المقل

بدأت الحفل بكلمة للأستاذ مصطفى حبيب تحدث فيها عن ذكرى شوقى من حيث أثرها فى النفوس ، ومن حيث مكانة صاحبها الأدبية والوطنية ؛ وتيمن لافتتاح الموسم الثقافى فى النادى بهذه الذكرى . وتلاه الأستاذ محمد فتحى بك فقرأ من شعر شوقى قصيدة « يا نائح الطلح أشباه عوادينا » التى قالها وهو بالأندلس فى الحنين إلى مصر ، وقد ذكرتنى قراءة فتحى بك بما يقولون من أن أحد العمال بمطبعة الأهرام غيّر مرة فى برنامج الإذاعة كلمة « يقرؤها فتحى بك » فجعلها « يفردها » ولم أكن أصدق هذا وكنت أرجح أن « يفردها » فى أصل البرنامج ، ولكنى اقتنعت أمس بأنها فعلة ذلك العامل لأنى وجدت فتحى بك لا يفرد وإنما يقرأ كما يقرأ الطالب فى كتاب المطالعة بفارق واحد وهو أن فتحى بك قليل الخطأ فى ضبط الكلمات .. ولكن لم اختار « نائح الطلح » وهو الطائر الذى ينوح فى وادى الطلح ؟ ألأن الطيور على أشكالها تقع ؟

أعود من هذا الاستطراد إلى برنامج الحفل : غنى أحد الشبان أغنية « أنا أنطونيو » فأجاد وأطرب ، ثم عرض مشهد من مسرحية « كليوباترا » لشوقى ، مثله ثلاثة من الخريجين : آنسة وشابان أحدهما السيد حسن ابن المرحوم السيد مصطفى لطفى المنفلوطى ، وقد أحسنوا أداء أدوارهم ، وبرعت الآنسة وهى تمثل مناجاة كليوباترا لنفسها فى المعبد بعد هزيمة جيوشها ، إذ كانت تؤدى الشعر بنبرات تمثل معانيه أحسن تمثيل . وقد ألقى أحد الشبان قصيدة تدل على أنه مبتدىء فى معالجة القريض ، ولكن كان لابد منها لتنويع هذا البرنامج الصغير فى مادته الكبير فى معناه . وكان هذا التنويع يقتضى كلمة دراسية فى شوقى وشعره ، ولكن النادى لخريجى قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب . وما يعرفونه عن شوقى قليل جداً بالنسبة لما يعرفونه عن شكسبير مثلا ! ! !

ولا تذهب فى هذا العجب ... فقد قلت إنه جهد الوفاء ذو المعنى الكبير وإن كان قليلا . أكثر الله خيرهم على كل حال ...

سجع الزعماء :

قرأت فى مجلة « المصور » للكاتب الفكه الذى يطلق على نفسه (الملحوس) ما يلى : « من أضحك الأشياء وأدعاها إلى السخرية فى هذا البلد ذلك الأسلوب (المسخرة) الذى تحرر به الأحزاب والزعماء والقادة بياناتهم الكبرى الخطيرة للشعب وللأمة ... ذلك السجع المقوت الكريه الثقيل الظل الذى يملأ أعمدة وصفحات كاملة بأسرها فى الجرائد ! » .

ومفهوم أن النثر المصرى من كتابة وخطابة قد تحرر من السجع أو من التزامه ، فقد يأتى بعض الكتاب بشىء منه لاقتضاء حال من تهكم أو دعابة وقد يجرى به القلم لاتساق لفظ وانسجام جرس . وكل هذا بعيد كل البعد عن ما كان فى العصور المتأخرة من التكلف المقوت .

ولكن فى السنوات الأخيرة جنح بعض الزعماء السياسيين إلى السجع وطول النفس فيه فى خطبهم وكتاباتهم ؛ ويبدو لى أن ذلك يرجع إلى ما يريدون أن يظهروا به من القدرة البيانية وما يرمون إليه من التأثير فى نفوس الجماهير .. والحق أن كثيراً من هذا السجع محكم مجود ، ولكنه على أى حال ترقيش وتزويق فى الكلام ، يساير التهريج فى السياسة ، بل هو من أدواته .. والعمل الصالح كالجمال الطبيعى لا يحتاج إلى الأصباغ والأدهان !

أو كما قال (الملحوس) إن هذا السجع (مودة) بطلت ، كما بطلت تلك الزعامات ، وصار روح العصر شيئاً آخر ..

التعليم الجامعي والأدب :

كان موضوع المناقشة فى « ندوة الهلال » هذا الشهر : « هل أخفق التعليم الجامعى ؟ » وانتهت المناقشة إلى « أن جامعتنا استطاعت أن تخرج فنيين ممتازين فى مختلف ميادين الحياة . كما نجحت فى تزويد المجتمع بخريجات كان لهن أثر كبير فى تطور النهضة النسائية ، ولكنها أخفقت فى خلق الروح الجامعية فى نفوس الطلبة ، وأهملت فى تربية نزعة الاستقلال فى التفكير وحب الكشف والابتكار فى خريجيها . ولم تعن بالنواحى الرياضية وتحبيب الطلبة فى الدراسة الجامعية » .

وقد لمست المناقشة الناحية الأدبية لمساً خفيفاً ، وذلك أن الأستاذ شفيق غربال بك لما سئل : هل أضافت الجامعة جديداً إلى الإنتاج العلمى والأدبى ؟ أجاب : « إن الجامعة لا زالت فى المهد بالنسبة لغيرها من الجامعات الأجنبية ، ولكنى أعتقد أن هناك تجديداً وإضافات فى النواحى الأدبية ، وأظن أن الكردانى بك يوافقنى على هذا أيضاً فى الناحية العلمية » فرد الكردانى بك « هل تعنى أن الجامعة خرجت علماء لهم فى ميادين الاكتشافات والاختراعات جولات ؟ » فقال شفيق بك : [لا . . إننى أقصد أن الجامعة خرجت « فنيين » ممتازين فى كل الميادين . ولكننى لم أتكلم عن « العلماء »] .

ولا أدرى أيقصد شفيق بك بهذا التفسير الناحيتين العلمية والأدبية ، أم يخص به الناحية العلمية ؟ على أن الخلاصة التى انتهى إليها النقاش تعمم هذا الحكم كما رأيت .

والذى نراه أن الجامعة — بعد الطبقة التى خرجتها الجامعة القديمة والتى رأسها الدكتور طه حسين — لم تخرج مبتكرين فى الأدب ، ولم ينتظم سلك أعلام الأدباء أحد خريجيها بعد ، وإن كان بين هؤلاء الخريجين أدباء يدخلون فى « فنيين ممتازين » .

القصة المصرية :

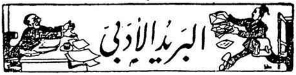
وجهت مجلة « المسامرات » إلى « لفيف من أعلام الفكر والرأى » السؤال التالى : هل نجحت القصة المصرية فى تثقيف الشعب ؟ فأجاب معظمهم بإثبات نجاحها ، قال الأستاذ العقاد : والقصة المصرية على وجه العموم قد نجحت نجاحاً ملموساً وشقت طريقها إلى الجودة والكمال فى كثير من الاتجاهات وإن كان هناك بعض الاتجاهات التى لم تقتحمها بعد ، وكلى أمل فى أن تصل قريباً إلى القمة مؤدية رسالتها على خير الوجوه » وقال الأستاذ المازنى : « لقد نجحت نجاحاً كبيراً والدليل على ذلك كثرة الإقبال عليها وكثرة ماينشر منها » وقال الأستاذ بيرم التونسى : « إن معظم القصص المصرية التى ظهرت حتى الآن فى غاية الإتقان مما يبشر بمستقبل حسن للقصة المصرية » وقال الدكتور زكى مبارك : « لقد نجحت القصة المصرية بكل تأكيد لأنها فتحت آفاقاً من الخيال ، وراضت الجمهور المصرى على الذوق الفنى ، وأعطت المصريين فرصة للرحلات الفنية إلى الشرق ، وخلقت أبواباً من الثروة الفكرية والعقلية عند فريق من الجماهير »

وخالفهم العشماوى باشا فقال : « لاتوجد عندنا قصة مصرية بالمعنى المفهوم لتثقيف الشعب » وقال : « لقد لقيت الأمرين عند ما كنت وزيراً للمعارف ، إذ احتجنا إلى قصص مصرية قوية لتمثيلها فى المدارس أو توزيعها على التلاميذ فكنت أكثر من عمل المسابقات لعلها تغرى الكتاب على الاهتمام بهذا النوع من التأليف . ولكن لم يكن يصلنا فى كل مسابقة إلا القصص التافهة البعيدة كل البعد عن الواقع » .

وأقول إن ما نراه من القصص الضعيفة أو المنقوشة من القصص الغربية ، لا ينبغى أن تطغى النظرة إليه على النتاج القصصى القيم الذى يدل على تقدم فن القصة عندنا فى العصر الحديث تقدماً نلمسه فيما نشر من القصص فى الصحف والمجلات والكتب الخاصة، ولقد قامت «الرواية» التى أدغمت فى «الرسالة» بمجهود كبير فى هذا السبيل ، والرجوع إلى مجموعاتها يقفك أو يذكرك بذلك المجهود ، وإنك لترى فيها إلى جانب المترجمات قصصاً مصرية تمد من ثروتنا فى هذا الفن الحديث ، كيوميات نائب فى الأرياف التى كان يكتبها بالرواية تباعاً الأستاذ توفيق الحكيم والتى جمعها بعد ذلك فى كتاب .

أما ما ذكره سعادة العشماوى باشا من أنه لم تقدم إلى مسابقة وزارة المعارف إلا القصص التافهة البعيدة كل البعد عن الواقع ، فرجعه أن كتاب القصة الناضجين يتجنبون النزول إلى مثل هذا التسابق ، إما استكباراً ، أو لأنهم يتوسمون أن فهم الطليق لا يرضى الهيئات التعليمية التى تتوخى الوقار والتزمت فيما يقدم إلى الطلاب ، ومنهم من يسيء الظن بالمحكمين ، على أن وزارة المعارف اتجهت أخيراً إلى الاختيار مما فى السوق فى مثل هذا بدلا من تلك المسابقات .

« العباس »



١ — بيان :

قد يكره الكاتب رجلا ، فيستغل المناسبات لهجوه والتسميع به ، وقد ينكر الكاتب رأياً فيكتب في رده ، وينال بالضرورة من صاحبه ، أي إن من النقد ما يراد به هجاء شخص بعينه ، ومنه ما يراد به رفع فرية في العلم ورد أذى عن الناس .

وأنا ما كتبت الذي كتبته لأنال من الشيخ أمين الخولي (لأستاذ في كلية الآداب) وما بيني وبينه صلة ولا معرفة ولم أر وجهه إلا مرة واحدة منذ أسبوع ، فلا يعقل أن يكون قصدي تحقيره هو بالذات أو ذمه والقدح به ، فإذا فهم أحد من الذي كتبته أنني أرى إلى هذا فأرجو أن يصحح فهمه ، وأن يعلم أني لا أبخس عالماً قدره ولا أجحد فاضلا فضله .

ولكن قصدي مما كتبت الدفاع عن الدين والعلم قد وقفت على هذا قلمي ولساني ، وإن كان في الدنيا من يخطر على باله أنه يستطيع أن يكفني عنه ، أو يمنعني منه بشكوى أو دعوى أو بترغيب أو ترهيب أو بافتراء أو ببذاء ، فإنه يمني نفسه المحال .

٢ — تعليق :

أصاب أستاذنا (السهمي) بقوله في مقالة (فملاء) ، « هؤلاء جلهم أئمة » ولم يقل ، كلهم . وفيهم ابن طولون (محمد بن علي) الدمشقي الصالحاني[1] ، وهو مؤرخ دمشق في القرن العاشر الهجري وله المصنفات القيمة وله تاريخ الصالحية المخطوط في المكتبة الظاهرية في دمشق ، ولكنه (كما يبدو من أسلوبه) عامي العبارة ، ركيك الأسلوب ، ليس من البلاغة في شيء ، ولا استئناس في كلامه بله أن يحتج في اللغة به ، أو يشار إليه

ولعل الأستاذ السهمي ظن القراء كلهم من (بني سهم) ، وحسبهم يجارونه في العلم ، ويماشونه في الفهم ، فأشار إشارة العالم ولم يشرح شرح المعلم ، حين قال :

« وكما أملى الخليل على خريجه أو بصره ، فقيد (أبو بشر) ذلك بالكتاب في (الكتاب) ... قال (عمرو) ... »

ونل في القراء من يعرف أن اسم سيبويه عمرو بن عثمان ابن قنبر ، وأن كنيته أبو بشر أو أبو الحسن ، وأن كتابه هو المقصود إن أطلق (الكتاب) وأنه معقود بلفظ الخليل وإملائه ، أو بدلالته وإرشاده .

ودعوى الأستاذ (في فملاء) صحيحة ، وإن لم يجئ عليها (في مقالته) بالبنية الشرعية

علي الطنطاوي

خبر :

جاءنا بيان طويل خلاصته : أن الاتحاد العام للهيئات الإسلامية (وفيه جماعة الإخوان المسلمين ، وجبهة علماء الأزهر ، وجمعية الشبان المسلمين ، وشباب محمد ، وأنصار السنة ، والجمعية الشرعية ، وجمعية مكارم الأخلاق وغيرها) . قرر مجلسه الأعلى في اجتماعه في ١١/١٠/١٩٤٧ في دار جمعية الشبان المسلمين ما نصه :

« رفع التماس إلى حضرة صاحب الجلالة الملك ، ودولة رئيس الوزراء ، ووزير المعارف ، ومدير الجامعة ، وكلية الآداب ، ومشيخة الأزهر رجاء إجراء تحقيق عاجل مع المدعو محمد خلف الله المعيد بكلية الآداب وأستاذه أمين الخولي عما نسب إليهما من الطعن في القرآن في الرسالة المقدمة من الأول وتأييد الثاني له فيها وتقديمها إلى المحاكمة إن صحت التهمة »

ورفع الكتاب وقدم إلى السدة الملكية والمراجع المسؤولة ، ورفع علماء الأزهر كتاباً مثله

خشية الالتباس :

إن محمد أفندي أحمد خلف الله المعيد بكلية آداب القاهرة وصاحب بحث « الفن القصصي في القرآن » الذي تناولته « الرسالة » بالنقد والتفنيد شخص آخر غير محمد خلف الله أحمد أستاذ الأدب العربي بجامعة فاروق الأول بالاسكندرية ، وخريج دار العلوم وجامعة لندن ، وصاحب الكتب والبحوث المعروفة في الدراسات النفسية والأدبية والنقدية !

(١) كذا تنسب معشر الدمشقيين إلى الصالحية ، والقياس الصالحي

إن هذا التشابه فى الاسمين قد اضطرنى أن أنبه إليه مراراً فى الصحف اليومية فى مناسبات سابقة ، ولكنه فى الموقف الحاضر يوشك أن يشوه بعض ما يعرف القراء عنى من التزام لجادة الحق والعلم والدين فى كتبى ومقالاتى

محمد خلف الله أحمد

رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب
بجامعة الاسكندرية

تكذيب خبر :

جاء فى كتاب (المستشرقون) لنجيب العقيقى فى طبعته الثانية (ص ٩٨) أن المستشرق ا . ج . أبرى « عاون فى كتاب داود شلبى فى الطبخ الذى كتب سنة ٦٢٥ هجرية » . إن هذا الخبر مغلوط من عدة جهات . فإن اسم الكتاب المذكور هو كتاب الطبيخ لا الطبخ ، وليس من تأليفى ، ولم يكتب سنة ٦٢٥ هـ ، إنما هو تأليف محمد بن الحسن بن محمد بن الكريم الكاتب البغدادى ألفه قبل استيلاء هولاكو على بغداد بـ ٣٣ سنة أى سنة ٦٢٣ بحث فيه عن الأطعمة التى كانت مستعملة ببغداد . وجدت نسخته الخطية فى خزانة كتب أياصوفيا باستنبول وكان فيها أغلاط فصححتها وعلقت عليها حواشى ونشرتها سنة ٣٥٣ هـ = سنة ١٩٣٤ م بالموصل . ولم يعنَّ فى تصحيحها أحد قط . واسم المستشرق المذكور هو أربرى aorberry وليس أبرى . ولم أكن اسمع به إلا بعد طبع كتابى بثلاث سنوات إذ تلقيت منه كتاباً يطلب فيه منى إذناً بترجمة الكتاب إلى الإنكليزية وكتابه محفوظ عندى « وهو مؤرخ بـ ١٨ — ١١ — ١٩٣٧ وصادر من المكتب الهندى بلندن » .

فعسى أن يصحح العقيقى كل هذه الأغلاط إذا تيسر له طبع كتابه طبعة ثالثة إن شاء الله .

(الموصل) **دكتور داود الجلبى**

بوابة المتولى :

قرأت ما نشر بالعدد ٧٤٢ من الرسالة الزاهرة ، تعليقاً على مقال بمجلة مسامرات الجيب عن بوابة المتولى ، وتعقيباً عليه أقول إن هذه البوابة شيدها « بدر الجمالى » مكان بوابتين ، شيدتهما إحدى قبائل البربر ، وهى قبيلة زويلة ، وهذا سر شهرة البوابة باسم « باب زويلة » .

أما سبب تسميتها « بوابة المتولى » فلأن متولى حسبة القاهرة كان مقره عند مدخل هذه البوابة .

القاهرة **عيسى متولى**

عدد سكان العالم ومذاهبهم :

يستفاد من إحصاء قام به « مكتب الأنباء الكاثوليكية » أن سكان العالم يقدرون الآن بمليارين ومائة واثنين وعشرين مليوناً ، وهم موزعون على الوجه التالى : ٣٩٩ مليوناً من الكاثوليك و ٣٩٣ مليوناً من الكونفوشيين و ٢٩٦ مليوناً من المسلمين و ٢٥٢٫٤٦٠٫٠٠٠ من الهندوكيين و ٢١١٫٢٠٠٫٠٠٠ من البروتستانت و ١٦١٫٨٠٥٫٠٠٠ من الأرثوذكس و ١١٥٫٨٢٨٫٠٠٠ من الروحانيين و ١٦٫٨٩١٫٠٠٠ من اليهود

تصحيح :

جاء فى قصيدة « رنين الذكرى » المنشورة فى العدد ٤٢٤ فى بيت :

ذكرتك حيث النيل غضبان ثائر   يجيش بآداب ويطمى بآمال

والصواب . « آراء » بالراء .

جاء فى افتتاحية العدد ٧٤٤ من الرسالة :
(وأقبلت الجيرة على العزاء فيه) والصواب : للعزاء فيه

وجاء فى الصفحة نفسها : (ولها كل بيت بصغيره عن كبيره) والصواب : ولهى كل بيت الخ فإن الفعل لهى بالياء معناه سلا وأعرض والفعل لها بالألف معناه لعب . وقد نبه إلى هذا التطبيع الأديب محمد أبو سريع حسين بمعهد القاهرة فله الشكر

نشر فى هذا العدد فى ص ١١٤٩ مقال (الجبل اللهم) ، وصوابه كما هو واضح : (الجيل الملهم)



أسطورة من الصين :

ملك المـــوت !

للكاتب الانكليزى فيليب بنيث

بقلم الأديب يوسف يعقوب حداد

كان يعيش فى مدينة « جيستيان » من أعمال الصين ، رجل يدعى « يوآن — كوانلو » وكان « يوآن » هذا رجلا فقيراً معدماً ، وكان فقره يحول بينه وبين الزواج من امرأة تقاسمه حلو الحياة ومرها …

وشاءت الظروف أن يعرف ابنة جار له ، وأن يحبها وتحبه ، وكان والدها من أثرياء البلدة ووجهائها فلم يكد يعرف ما بين ابنته وبين الفقير من حب وهيام ، حتى ثار وغضب ، ومنع ابنته عن الاتصال بحبيبها . فقالت الفتاة إنه لا يريدها على حرام ، إنما يريد الزواج منها على سنة الله ، فلم يزد الأب إلا غضباً وثورة ، إذ لم يكن يرغب فى أن يزوج ابنته من رجل فقير ينغص حياتها ويشقيها ، ومن كأس البؤس والحرمان يسقيها .

وصدمت الفتاة فى حبها صدمة عنيفة ، وطُعن قلبها الرقيق طعنة قاتلة ، فأصابها السقام ، ولم تلبث طويلا حتى قضت نحبها .

ولم يكن حبيبها بأقل منها تأثراً بالصدمة ، ولكنه كان أكثر احتمالا لها ، فظل هائماً على وجهه ، مضطرب المشاعر ، شارد اللب ، شاخص البصر إلى الأفق كأنه ينتظر أن تعود حبيبته إليه !

وفى ساعة متأخرة من بعض الليالى ، كان « يوآن » خارج منزله ، ينظر بعينين حالمتين إلى بدر التم كأنما يسأله عن حبيبته ، وطالت وقفته حتى كلت عيناه من النظر إلى القمر ، وتعبت ساقاه من كثرة الوقوف ، فدار على عقبيه ليعود إلى منزله . وبينما هو يدور فى منعطف الطريق ، رأى رجلاً غريب النظر ، عجيب المظهر يحمل فى إحدى يديه منجلا حاد الشفرة ، وفى الأخرى قنينة محكمة السداد ، ولأول وهلة عرف فيه يوآن ملك الموت الذى يقبض الأرواح ويحصدها بمنجله . فارتاع قلبه وارتعدت فرائصه ، ولكنه تمالك وتقدم من ملك الموت ، وقال له بلهجة الصديق والودود :

— أظنك يا صاحب السعادة قد تأخرت فى العمل وتعبت ، والليلة باردة جداً ، وبيتى على خطوات من هنا ، فهلا جئت معى إليه ؛ لتشرب شراباً ساخناً يعيد الدفء إليك ؟

فنظر ملك الموت إلى « يوآن » بعينيه الغائرتين نظرة فاحصة ثم سار معه إلى بيته دون أن ينبس ببنت شفة .

وسخن يوآن شيئاً من الخمر ، وقدمها إليه ، فجرعها ملك الموت فى دفعة واحدة ، وطلب المزيد ، تقدم إليه يوآن كأساً أخرى فشربها دفعة واحدة أيضاً ، وهكذا ظل يطلب المزيد ، ويوآن لا يستطيع أن يخالف له أمراً ، أو يرفض له طلباً ، حتى ثمل ، وأثقل السكر جفنيه ، فانطرح على الأرض وغرق فى سبات عميق

فقام « يوآن » بعد أن تأكد من استغراق ملك الموت فى النوم إلى القنينة ، وعالج سدادها حتى تمكن من فتحه ، وكم كانت دهشته عظيمة وفرحته أعظم ، حين خرجت روح حبيبته منها !

قالت له روح حبيبته : كبله يا حبيبى بالقيود حتى لا يتمكن منا ويحصد روحينا مرة أخرى .

فأسرع يوآن إلى ملك الموت بالسلاسل حتى شله عن كل حركة ، وأسرعا بالفرار .

وظل العاشقان زمناً يعيشان معاً ويتناجيان ، إلا أن يوآن ما كان ليستطيع رؤية حبيبته إلا كما يرى الإنسان ظله على الأرض وما كان ليستطيع أن يضمها إلى صدره إلا كما يضم الإنسان قبضة يده على الهواء . لهذا لم يستطع أن يطفىء جذوة الحب المتقدة بين جوانحه ، أو يروى غليله بالضم والعناق .

وفى ذات يوم — قالت له روح حبيبته :

— آه لو ملكت جسدا ، فأية سعادة كنت أتمتع بها إلى جانبك وبين ذراعيك … آه لو كنت أملك جسدا ، لكنا تزوجنا ، فأكون لك نعم الزوجة المخلصة ، والحبيبة الوفية .

ثم قالت بعد تفكير طويل ، والسعادة تملأ نبرات صوتها :

— اسمع يا حبيبي . في المدينة المجاورة بنت جميلة من بنات الأمراء ، مطروحة على فراش الموت . إنني أراها الآن وروحها تحشرج في صدرها وأهلها من حولها وقد ملأ الحزن قلوبهم ، ستموت هذه الفتاة الجميلة بعد ساعات . فلو استطعت أن تأتيني بجسدها لاستطعنا أن نحقق أحلامنا وأمانينا ونقهر ملك الموت ، سنتزوج وسنعيش في غنى وجاه وسعادة .

أسرع يوآن إلى بيت الفتاة ، فوجدها قد ماتت منذ هنيهة . وأهلها لفرط حزنهم عليها يكادون أن يقتلوا أنفسهم ، فانتهز يوآن هذه الفرصة ، وتقدم من والد الفتاة ، وقال له :

— في مقدوري يا سيدي أن أعيد الحياة إلى إبنتك .

فصاح الوالد بدهشة : وكيف تستطيع ذلك ؟!

فقال يوآن :

— لا تسألني كيف ... ولكنك إذا رضيت بالشرط الوحيد الذي أشرطه عليك ، رددت الحياة إلى ابنتك .

فقال الأب متلهفاً : قل بالله عليك ، ماهو هذا الشرط ؟

فقال يوآن :

— هو أن تزوجني منها .

فقال الأب بفرح عظيم : هي لك فأحيها .

عندئذ نادى يوآن روح حبيبته ، فجاءت وانسلت إليها من إحدى أذنيها ، ففتحت الفتاة عينيها كأنها مستيقظة من النوم لا من الموت .

وزفت إليه في الحال ، وانقلب المأتم إلى حفلة عرس بهيجة ويوآن يكاد يطير لشدة فرحه وسعادته بحبيبته وزوجته !

(البصرة — العراق) **يوسف يعقوب حداد**